إلى القارئ

جاء في افتتاحيات « الفكر » :

ــ نحن في هذه المجلة نعتقد ان الحرية هي اقدس حقوق الفرد واعظمها قيمة وأدلها على كرامة الانسان وحرمته ٠ ٠ ٠ ونحن نؤمن كذلك ان اهم مظهر لتلك الحرية واجل صورة لها هي حرية الفكر ٠ فلا يمكن ان نعالج قضايانا ولايتيسر ان ننظر في مشاكلنا ونوجد لها حلا ما لم نسلم بأن « الذوق السليم » ــ كما يقول ديكارت ــ هو اعدل الاشياء قسمة بين الناس ومالم نقتنع ــ مخلصين ــ بأن حظ الناس من التوفيق الى معرفة الحقيقة واحد (السنة 1 ــ العدد 2)

ــ ونحن في هذه المجلة من انصار الحرية ، ولسنا نريد حصرها في ميدان دون آخر او قصرها على طائفة دون طائفة ٠ الحرية كل متماسك الاطراف اذا اصابها الضيم في ميدان او شخص او فريق فانما تكون حينذاك مهددة في وجودها وجوهرها وأساسها ، لذلك واجب علينا في هذا القطر ان نخرج بالحرية من حيز الكلام الى طور الفعل ولابد ان نضمن لجميع المواطنين حق التمتع بالحرية وحقوق الانسان (السنة 1 ــ العدد 3)

ــ لم نفتأ ــ منذ ان برزت هذه المجلة للوجود ــ نجتنب الوهم والايهام وننبذ « أدب » الاخيلة المريضة استعاضت عن فحولة الخلق بميوعة الاجترار والتكرار واثرت رقة الوجد العليل على بهجة الامل العريض ٠ ٠ ٠ نحن اعداء القيم الزائفة نشفق على انفسنا وعلى امتنا من أفيونة المحترفين ٠ لقد اخذنا انفسنا مأخذ الجد ووعينا رسالتنا كامل الوعي فتصدينا للصلد نعالجه وللواقع نتعرف اليه لنؤثر فيه ونغير وجهه (السنة 2 ــ العدد 2)

ــ دأب هذه المجلة الثبات في طريق تدعيم حرمة الانسان ورفع مستواه الفكري الذي بدونه ثبات قدميه في الارض لاتطل السعادة (السنة 2 ــ العدد 8)

ــ لم نزل كذلك نؤمن بحرية الاديب المطلقة لا نقيدها بحدود الزمان او المكان ولا نحصرها في نطاق مذهب ، فلسفي او اقتصادي او دين سماوي او قضية قومية مهما تأكدت ، ان وظيفة الاديب من حيث هو اديب الخلق والابداع وحريته فيهما كاملة او لاتكون (السنة 3 ــ العدد 4)

ــ ان جيلنا يتحمل مسؤولية عظمى في النهضة الفكرية والادبية المأمولة ، وانه يتمتع بحرية كاملة للخلق الادبي والبعث الفني ويتمتع كذلك بعطف المسؤولين وتشجيعهم ، فما يمنعه من ان يضاعف ثقته في نفسه ويستمد من ايمانه بمستقبل بلاده ٠ ٠ ٠ ما يقوى به على تحقيق الامل والقيام بالرسالة التاريخية المقدسة الا وهي : احياء الفكر وبعث ثقافة اصيلة في هذه الديار ٠ (السنة 4 ــ العدد 3)

وهل نحن في حاجة ــ بعد هذا ــ ان نؤكد من جديد والمجلة في سنتها الخامسة تعلقنا بحرية الاديب ــ بله المواطن ــ وايماننا بضرورة افساح المجال للنقد النزيه الخصب من دون اعتبار للاشخاص ما دامت غايتنا خدمة الادب في هذه الديار ٠

الفكر

مقدمة الى معرفة "كفاح حشاد"

بقلم فرحات الدشراوي

لعلــك ايها الشاب ، وقد بلغت فى حياتك رشدك وادركت مرحلة وعيك ودرجت بين سن الخامسة عشر وسن العشرين واخذت تعمل لا عاطفتك وقلبك بل رويتك وعقلك ، لاتعلم حق العلم من حشاد وما كان حشاد

ولعلك لاتقف على اسمه الا مرة فى السنة عندما تقبل الامة باسرهــا حكومة وشعبا على احياء ذكراه فتلتفت الى طفولتك ثم تلمس فى ماضى نفسك انك فجعت مع من فجع بنعى حشاد الا انك كنت لاتعقل لطفولتك فلم تفهـم كل الفهم مدى المصاب ولم تشعر شعورا حادا برزية وطنك فى حشاد ·

اما اليوم فلا عذر لك لان لك اسباب الادراك والــوعى وعليك واجب المعرفــة الثابتة والعلم اليقين فــلا تقتصر على نظرة عاجلة الى صورة حشاد او الوقوف هنيهة بازاء ضريحه او الاعتبار برهة عند سماعك لاسمه بل ينبغى لك ان تعلم من هو حق العلم عساك تخلع عنك غرور الشباب فتهتدى به من ضلال تهورك وترعوى عن صلابة تيهك وتتواضع بنفسك للناس حولك وتنزع عنك سلاح التدجيل والنفاق وتكبح فيك غــريزة طموحك العقيم وتــروض نفسك على العمل الصادق ·

فان حشاد ان تفهم ما ادى فى حياته من رسالة وما خلد بموته من عبرة ليعلمك الجد والحزم فى نزاهة واخلاص ويرشدك الى القيام بواجبك فى حياتك بثبـات وايمان ·

لكن اياك وتقديس حشاد تقديس الاصنام والاوثـان او تمجيده تمجيد السفاهة والتملق بل دع عنك العاطفة والهوى وانظر اليه نظرة الروية والعقل وخذه اليك بينك وبين نفسك لا ساحـرا او الاها بل بشرا صادقـا · انسانا مثلك لكنه عاش عيشة الجد ومات ميتة الجد ·

اذاك وقد خلعت عن حشاد هالة التقديس والتمجيد وابرزته عندك فى حقيقته الناصعة لا وهم عليه ولاتزوير حق لك ان تلتمس المعرفة لما ادى بكفاحه من رسالة لتفقه ماترك لك بشهادتــه من وصية وما القى عليك بتضحيته من اعباء الحزم « والفعل » (I) ومسؤوليات العمل والنشاط ·

ينبغى فهم اللفظة بمعناها الفلسفى اى بدلالتها عما تدل عليه اللفظة الفرنسية : « Acte »



الشهيد فرحات حشاد

ثم اياك وترهات الاساطير واباطيل الخرافـات فلتكن معرفتك لرسالة حشاد معرفة تاريخية سليمة وعلمية ثابتة فلديك وثائق عديدة مباشرة وحية نابضة تضمن لك علما حقيقيا لايشوبه الريب ولا يزيفه الوهم

الا انك فى حاجة الى تحديد مظاهر « كفـاح حشاد » فى حد صحيح يساعدك على تنسيقها واحكام ترتيبها ويمكنك من ضبط خصائص رسالته ضبطا منطقيا يرتاح اليهعقلك وتطمئن اليه نفسك ٠

فلكفاح حشاد وجهان سلبى وايجابى وكلا الوجهينيتناول الحياة العاملة فى شتى مظاهرها من حياة سياسية او اجتماعية او اقتصادية ٠ فاما الوجـه السلبى فهدفه الاساسى تحطيم صرح الاستعمار فى مختلف هياكله ومبانيه والقضاء على قوته فى كل مذاهبها واشكالها واما الوجه الايجابى فلا غاية لـه الا لم ما ترك الاستعمار من شعث الامـة وبعث ما تمسكت به كافـة طبقات الشعب فى عهـد المحنة والعسف من روح الايمان وقـوى الانشاء كى تبنى تونس صرحا جديدا عصريا فوق خراب الظلم والطغيان صرح الحرية والعدالة ٠

غير ان « لكفاح حشاد » فى وجهيه السلبى والايجابى ميزة هامة هى ميزة ذوى العمل الجدى واصحاب « الفعل » فقد كان حشاد فى كفاحـه لا من ارباب المقالات والقلم فحسب ولا من اهل القول والخطب فقط بل كان ذا فكر « فاعل » سديد وساعد « فاعل » قويم ٠

ولقد جعلت تلك الميزة الجليلة كفاحه لا كفاح بعض المثقفين الموزون وزنا او المكال كيلا او المحسوب حسابا بل كفاح الابطال لايمنعهم الخطر عن الانجاز ولا يصدهم عن « الفعل »

ثم لعلك ايها الشاب وقد وضعت «كفاح حشاد» هذا الوضع فى حقيقة التاريخ وضوء العقل تدرك جلى الادراك وصيته لك برسالته ونداءه اليك بتضحيته فلم يبق اذن الا الرجاء من اخلاصك وجدك والامل فى عبرتك بحشاد وتاديتك للامانة ٠

حيد فرحات

بقلم محسن بن حيدة

انه صوت السريرة
انهـا البلوى المـريـرة
انني حتما بلوت الوحش والمتوحشين
وأكاليل الملوك ورجفة المستعبدين
ولقد صليت النار فى المأساة ٠ ٠ ٠ مأساة الشعوب
وتقطعت خطواتي الكأداء فى ليل الانانية الطروب
الكبرياء وذلة المسعى تدب ولادبيب ٠ ٠ ٠
والجـرم ـ اشنع ما يكون ـ
ساق الخطى نحو الينابيع التى لا عفو فيها او سكون
انى رايت على الوجوه السمر آثار الحديد
ولهيبه القانى يخط بها خطوط
انى رايت على الوجوه السمر آثار الحديد
والاخطبـوط
تحيط اصبعه اللصيقة بالرقاب
وحصاد اجنحة الرجال
الجـاهدين الى الكمال

**

ركب الوحوش الصاديات الى الدماء
ركب النتونـة والعفن
ركب الوحوش الصاديات الى الدماء
انني ابـدا بـراء
بـراء من اثم الجنـاة
وجـريمة المتـزمتين
ومن الضحية والـرضى
انني ابـدا بـراء

**

انني اكذب والكذب مباح

اننى اخدع . . . والسبيل الى الخديعة
فى ان يطول بنا المسير
فى ان أسير باخوتى
النازلين من القفار
النازحين عن الظمـاء
الثائرين عـلى الدمـار
وعـلى الفنـاء
المؤمنين بقدس آيات الوجود . .
فى أن اسير باخوتى
واخوتى فى كل دار
فى ان يطول بنا المسير
نحو السبيل الماجده
نحو السبيل الخالده
واللاحـدود

***

سنسير ندرك كل نور
ونمزق القيد الحديد
ما القيد . . . ما العفن المبيد . . .
ما قوة الاشرار . . . والظلم العنيد
كل ظلم سوف يفنى فى الوجود
كل قدم سوف يمحوه الجديد
كـل العبيـد
سيكسرون قيـودهـم
ويحطمون كؤوسهـم
ويطهرون نفـوسهم
ويجمعون جنودهم
والى الامـام سيدفعون
وجهودهـم سيوحـدون
وطريقهـم سيعبـدون
ومصيرهـم سيقـررون
والى السمـاء سيرتقـون
فيسير ركبى حافلا فى كل عيد

ذكرى الشهيد فرحات حشاد

بقلم محمد الحبيب عباس

يحيـــا حشاد فى ملا الناس ـ دنيانا ـ بالذكر ، ويعيش فى ملا الله بالرزق ، لانه عظيم عند الناس ، كريم على الله ، واكرم بحياة يعطاها الشهداء بلا فناء ، وخلود يلقاه الاوفياء بلا كدر .

ومن ينسى حاتم الطائى ، وفرسه الذى هان عليه ، وماله من شىء سواه بل ونفسه التى دل لها منافسه فى الجود ليخلو له صدى النوال مكان ، واعان عليها مريد الوقيعة بها ليولى ثناء الالسنة عنه اليه .

فكيف بفرحات الكريم بحياته ، الجواد بكيانه وشبابه ، تهون عليه لامته تضحية ، ولوطنه فداء ، وللحرية قربانا ، واعظم بقرى الوطن والامة من قرى .

هانت عليه لانه شعر بما ينبغى تعجيله من ثمن الطلاقة البعيدة المنال ، وبدل الكرامة العصية الادراك فكلتاهما تؤخذ ولاتعطى ، وكلتاهما لاتثمن الا بالدماء والارواح .

ومن اولى الناس منه فى تلك الظروف الحالكة المريرة ، من اولى منــه بتولى الصفقة ، وابرام العقدة ومتابعة السير .

لقد تركه المستعمر لانه جبن عن ان يضمه الى المشردين من اخوانه فى النضال الذى شحذوا له من عزمهم سلاح الخــلاص بالتضحية ، وصاغوا من الشعب كله السنة النجاة بالصبر والتوفية ، وتقدموا الصفوف بايمان راسخ لاتلهيهم تجارة ولابيع ، ولاتثبطهم العشائر من الولدان والاهل .

وتوزعوا بينهم مسالك الجلاد هنا وهناك الى ان تجمعهم السجون والمنافى بتهم ينسجها الوحش الضارى على انوال الجرائم والفساد ، لينال من الشعب الاعزل ـ وهو فى مامن من خطرهم ـ لحما ودما يغذى كراهية الشعب العتيد ، ويقوى وحشية الجند البليد .

وكم حاول ـ وعبثا ما حاول ـ شل حركة وجد فيها من القوة والتماسك ما صارع حديده ، وناوأ وعيده ، وناژل عديده

لان شما اباة هانت عليهم نفوسهم ـ ومادونها قيمة ـ ليروا خيبة آمال المعتدين ، وفشل اطماع الجبارين ومامن همهم الا ان تنجو امتهم من مخالب البزاة عزيزة قوية ، ثابتة الكيان نقية ، تفرض وجودها بما تتيحه لها مقدرتها من التساوى فى سلك الشعوب الراقية وكفاءتها منالتعادل مع الامم الناهضة ، وجهودها من الثقة والشموخ .

فتمت كلمتهم على الفنـاء او يبوء المستعمر بالخيبة فى البقاء على اديـم ارض ارادها لقمة سائغة ، واستبقاها غنيمة ناعمة ، ومن ارى جناها يطفىء الصدى ، وفى معسول رحيقها ما يباعد الجوع والعرى ٠

استعصى فرحات على الباغى ان يلقى ؛ فى مفازة من البحر او البر تقطع صلته بالحياة الخاصة والعامة ، او ان يرمى ؛ فى براح محتشد عار يقصيه عن الداخل والخارج فتتهيا له من دهشة الشعب واضطرابه سنة من الراحة يتنفس خلالها الصعداء ، ويتاهب فيها للكر على العزل من جديد ٠

وما اعجزه عن ذلك الا لان ميدان البطل لاينال من شرعيته اى تشهير او تزوير ، ولايجدى فى انتقاصه مايلفقه الخصم بالغا ما بلغ من المكر والدهاء ٠

اجل ! كـان فرحات فى محيط الشغل والشغالين يطعن المستعمر فى صميمه ، لان منطق الرغيف والاجـور ، والبطالة والكساد ، والتدخـل بين الاعراف والاجراء يسرت منيعا على الامة ، وفتحت بابا للجهاد احكمت دونه الاقفال واتخذت له اقنعة تحجب وراءهـا خططا منسقة ينجزها الشعب فى مهارة ضمن وحدة كالبنيان المرصوص ، وتعبئة قوية تشد عهدها فى شعارها وجهارها الى عدو المستعمر السافر فى حقل السياسة ٠

وعدوه اللدود فى ارض تدوسهـا قدمه : حـركة سياسية تعمل على استرداد حقوق التصرف فى الـوطن للشعب يجريهـا بارادته واختياره ، ويصونها بسواعده واخياره ٠

والد اعدائه : حزب ظهر نفاذه الى القلـوب فى اسرع من لمح البصر ، وبات شعث الامة من حوله مجتمعا متحدا فهل من سبيل للتهاون ؟ ولا اقل من ان ينغص عيشه ، ويكدر صفوه ، ويقاطع جلوسه المطمئن على حشية من جلود التونسيين : واعداب المواطنين ٠

والفرنسيون فى بلادنا ليسوا غفلا ، فهم لا ينامون الا كمثل الذئب ٠

ينـام باحـدى مقلتيـه ويتقى بالاخـرى المنـايـا

فسرعان ماعرفوا من حقيقة منظمة الشغالين ما انفش شعرهم ، وقشعر جلدهم ، واقض مضاجعهم ، ففكروا وقدروا ، وعبسوا وبسروا وادركوا ان وسائلهم بقدر ما تسد من مجالات المقاومة بقدر ما توجه الادمغة فى تكييف النشاط التحريرى بالصبغة المواتيه حيث انصرفت الجهود لميدان ترفـع منه ارغفة العيش تطلعا للكفاف وداخلها السم الزعاف ، ظاهرها الشغل وجوهرها الكـرامة ٠

وتمثلت خطورة المنهج الجديد فى سلب المستعمر القدرة على خنق الحركة الجديدة اذ ما بوسعه ان يسد سبل العيش فى اوجه المرتزقين ٠

ولشد مـا تحسر على ضياع الفرصة بعدمـا مكنت ظروف لهذه المنظمة الظهور والذيوع لا فى ديارنا فحسب بل وعند كل الاحرار من الشعوب ٠

وفرنسا لايهون عليها شرفها القائم على سراب من الاوهام والادعاء من

الماضي لا من الحاضر لان اى تصرف ضد العمال سيفقدها ثقة العالم وحرمة العالم ، واعتزاز الجانب بالعالم •

ومن يعرف من العالم سلوكها القاسي فى نقط ارض هى الخلاء عند الكثيرين من بنى الانسان الا ان يكونوا ممن صمت آذانهم بالدعاية المغرضة التى تلغو فى آهات المنكوبين لتأتى على مساعى دعاتنا بالابطال والتفنيد •

ثم ما يكون جزاء من يظهر من رعية رعاعها متطاولا الا ان يسجن اويقتل ولو كان قائل حق ، وطالب حق ، ولسان حق • ــ فما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او يكون من الصاغرين ــ

وليته السجن كان حظ فرحات كاخوانه لكان ابقى على حياته لامته ووطنه ولكنه لم يكن حتى لايذهب بشهرة فرنسا ، ولايطير بقداستها ولايكيد لسياستها وساستها •

اوما تعلم ان شغالى العالم لن يسكتوا عن لحظة يقضيها رجل كفرحات فى السجن او المنفى وهم الذين اقاموا الدنيا واقعدوها بقضية بلاده وهو حر يجوب المدن والعواصم ويخطر المنتديات والمحافل ، وياخذ على الاحرار عهد الصداقة والمؤازرة •

لن يكون ذلك ، ولن توقع نفسها فى جحيم النقد اللاذع ، والاستنكار المقذع ، ولن تثير موجة عارمة من السخط لا قبل لها باحتمالها •

وليس بعد سجن الاحياء حاجزا بينه وبين قومه الا القبر المظلم وسجن الاموات الموحش فتستريح من كده بكيد شديد والله اشد كيدا واشد تنكيلا •

وهنا نشطت شياطين الشر لتفسد فى الارض ، وتحكم المكيدة ، وتلتمس الظروف للضربة القاضية والطعنة القاسية •

وما ايسرها ازاء رجل يومه فى الشغل والحركة ، ودهره فى العمل والجهاد ولاحرس يصونه ولاجنود يحمونه فليكن موعدهم له غداة الخامس من ديسمبر ــ 52 ــ حيث لاتزال الحركة بطيئة ، وظلمة الغيوم تغشى الافق ، وضبابة الترويع والحصار تحجز المواطنين فى منازلهم الى ان يجتاز النهار اوان الشروق •

وعلى طريق حشاد فى شغله النقابى يجتمع الابالسة قبيل خروجه من بيته باقنعة الموت ومخالب الحمام وكانهم يرصدون ماردا من الجن او يطاردون فيلقا مسلحا وما معهم من الثبات قدر ما يقيهم الارتجاف ، ولامن الايمان ما يصونهم عن الارتباك •

وما لاح البطل المهيب لاول مترصد حتى تمت الاهبة ليقطعوا عليه السبيل ، ويغمسوا ايديهم القذرة فى دمه الطاهر ، ويلاحقوه على مرحلة قصيرة من داره بالموت المحبوس فى حلوق بنادقهم ، وحناجر رشاشاتهم ، فتوقفت سيارته وسقط ــ رضى الله عنه ــ على الارض يفور الدم من جسمه ، ويشع النور من عينه ، ويلاحق جسده روحه ليرى مقرها الاخير فى الملا الاعلى والنعيم المقيم •

دعوتها سبحانك اللهم ، وتحيتها هناك سلام •

زفرة

بقلم الشاذلي عطاء الله

سنمضي كما قدمضى السابقون ... ويلتحق الركب بالقافله
ويجرفنا السيل مثل الغثاء ... ولا يسمع الصرخة الهائله
ويطوي الفناء سجل الحياة ... كما تنطوي صفحة العاجله
فلا الدّهر يصغى الى لغونا ... ولا النيرات بنا حافله
ولا النهر تجمد في حلقه ... أغاريدُه الحلوة الزاجله
ولا الزهر يذوي اذاما ذوت ... على السفح زهرتنا الذابله
وسوف يضوع الشذا حينما ... تبلله الديمة الوابله
وسوف يظل النسيم العليل ... يداعب اوراقه الناحله
وسوف يظل الهزار يغني ... ويشدُو على الغصن المايله
ويلتمع الفجر في افقه ... وقد ودّع الشهب الآفله
ويسكب بدر الدُّجى نوره ... كما تسكب الفضة السائله
ويغمر هاذيَ الربى بالسناء ... تهدهدُها كفه الجائله
وتطلع شمس الضحى كالعروس ... تبختر في الزينة الكامله
ستمضي الحياة لاهدافها ... ولا تعبا بالخفقة الزّائله

البطولة العربية وعوامل نشأتها بين الواقع والمثالية

بقلم مصطفى الاشرف

— 2 —

تتغير الاحوال بعد الاسلام وتستقيم القيم حسب مقاييس جديدة وتبلى قيم أخرى وأنظمة أخرى طالما أثرت فى المجتمع العربى القديم ويخلف شغب الجاهلية شىء كثير من الطمأنينة والمسامحة فى صدر الاسلام فنرى الشعراء من امثال كعب بن زهير وحتى حسان بن ثابت بصفة نسبية ، يوثرون نوعا جديدا من التعبير الخفى الرقيق عن بطولة النبى (صلعم) واصحابه فى شكل لم يكن مألوفا من ذى قبل رغم الظواهر ولعل الاشادة بالبطولة النبوية من الامور ذات الباع الطويل التى لايسعها مقال كهذا وان رحبت ساحته فنشير اذن الى السير الكثيرة والمدائح الحافلة بالحب الصادق والايمان الحار ونكتفى هنا بذكر كتاب لفيلسوف أجنبى خصص قسم وافر منه لمحمد (صلعم) ودل عنوانه وموضوعه أدق الدلالة على مفهوم البطولة ولفظها وقد سمى Carlyle « كرلايل » (وهو ذلك الفيلسوف الانكليزى) كتابه « بالابطال »

ثم ان للبطولة ظروفا تبرزها واحداثا تبعثها وهى ليست كالحماسة شعورا كامنا فياضا وجوا نفسيا ملهما يخلقهما منظر حربى وتثيرهما صلصلة السلاح ثم ، لن تكون جزيرة العرب بعد ، ذلك المضار الذى يتبارى فيه الفرسان بالشعر تارة وبالحديد طورا • فتحولت الفروسية الجديدة الى آفاق غير آفاقها ومهما كان من خصب مئاثرها فان بطولة الفتوح لاتماثل بطولة الدفاع عن الاوطان وان كان الفتح الاسلامى اكثر رفقا ورحمة من الفتوحات الاخرى ولو بالنسبة للعصور القاسية التى حدث فيها ، لاسيما وبين العرب من جهة ودولتى الفرس والروم من جهة أخرى ، خصومة خفية منذ القدم فيها شىء من الاحتقار والتعدى والانتقام وفوق كل ذلك كانت رسالة تؤدى وثورة للحق تثار قبلتهما رعايا الفرس والروم كخلاص من الضيم والاستبداد •

اما البطولة التى نقصدها الآن فهى متشعبة دقيقة الوصف لا تكيف حسب المقاييس المادية الرنانة واول ما نراها نرى فيها امرا جللا وخطوبا مرعبة اعترت المجتمع العربى اثناء ما سماه الاستاذ طه حسين « بالفتنة الكبرى »

التى استغرقت مدة تناهز عشرين سنة من مقتل عثمان الى مقتل الحسين بن على فتظهر كأنها اكبر أزمة سياسية ومعنوية ودينية ابتلت الاسلام فصارت عبارة عن صراع شديد بين مفاهيم شتى منها الجديد ومنها البالى ، ومنها الاسلامى ومنها الجاهلى ، فأثرت كذلك على الوضع الانسانى بصفة عامة وعلى ما يهمنا فى موضوعنا هذا أعنى السلوك الفروسى والبطولى بالاخص ويتراءى للباحث فى تلك الفترة الصاخبة من تاريخ الاسلام ان النزاع كان ينحصر من جهة فى عودة العصبيات الجاهلية ، تؤيدها وفرة البطش ويؤيدها الى حد ما دهاء معاوية واعوانه وتزيدها قساوة وغدرا سياسة الولاة الامويين وينحصر من جهة أخرى فى ايمان على بن ابى طالب (رض) وورعه وفروسيته وحلمه وخصوصا فى حالة الانفراد المعنوى وقل : الغرابة ، الامر الذى جعل منه رجلا يواجه وحده بالتقريب ، عالما فاجأه التطور المادى ومطامعه مفاجأة كادت تبعد الناس عن مبادىء الاسلام الحنيفة وعن خطة عمر بن الخطاب الشديدة فى انصافها وقناعتها ومثل على مثل غيره من تلك الفئة التى اتصفت باخلاقه وأبت الا ان تداوم فيما عز وشق اكتسابه من فروسية الاسلام وبطولتهولانعنى باولئك الرجال شيعة اهل البيت ولما يأت خبرها فى ايام على بل نقصد بهم اناسا من سائر العرب وقفوا ، من دون رياء ولا خوف وبقطع النظر عن ارائهم السياسية ، أمام مأساة شعواء ، فلطفوا منها ما استطاعوا اليه سبيلا وردوا شرها وساروا فى حربهم وفى سلمهم سيرة كانت لاتأخذهم فيها لومة لائم وليست سيرتهم هذه بالبطولة الزاهية «الباسمة الثغر» الخفيفة القلب ، ونحن اذا أدركنا امرا ايجابيا رغم مصابه فى تلك الفترة من تاريخ الاسلام ، ايام على وبعدها ، ادركنا ضميرا حادا يتململ تساؤلا فى الاحداث وعذابا ، وادركنا صبرا جميلا على الغدر والظلم ، وبلاء حسنا لم يسبق له نظير فى ايام العرب ، ولذا فاننا نؤكد فى وصف تلك البطولة ميزتها الشاذة المحتومة المرغمة الا ما كان فيها من الحماس الذى يلهمه الشعور بالحق وما كان فيها من الاختيار والتطوع لدعوة سياسية او دينية ، اما الحماسة الباعثة للبطولة « العقائدية » المذهبية ، فاننا نجدها مع الاسف فى الحروب التى تفرعت عن الفتنة الكبرى ، أعنى حروب الخوارج وحروب الشيعة وقمعها العنيف طوال الخلافة الاموية ، ابتداء من عهد عبد الملك بن مروان ، وهى بالضبط من الامور التى كانت تأباها فروسية على ، سلفا جزافا ، وان اضطر لمثلها او شبهها فى وقائع الجمل والنهروان وصفين الا انها كدرت عليه خواطره وأوجعت ضميره ولربما كانت من الاسباب التى ادت به الى ايثار التحكيم على متابعة القتال اشفاقا منه على المسلمين وحقنا لدمائهم ، بالرغم من شجاعته النادرة وبالرغم كذلك من صحة دعوته وشرعية بيعته • والشىء الذى يهمنا فى موضوعنا هذا هو السلوك الجديد الصعب المتنوع الذى سلكته البطولة فزادت الى قيمه المألوفة قيما

أخرى كروح التضحية والنهى عن المنكر وتغييـره صراحـة باليـد واللسان ولو كـره الكارهون ولاسيما اولو الامر منهم والوفـاء ، لا بالعهود فحسب ، بل بالعقائد والايمان ، والاخلاص لصاحب الدعوة ولو بعـد موته ، وكلهـا مفاهيم لم توجد البتة فى الجاهلية كما لم توجد فيها تلك العبارات التى تدل اروع دلالة وأسماها على وصف رجولية جديدة ، ومن بينها طبقتان على الاقل : حسن البلاء والصبر الجميل ؛ ثم الجهاد فى سبيل الله والاستشهاد ، لان البطولة الاسلامية ، شعبية كانت او خواصية ، فى الادب الشفاهى الملحون او الادب الصناعى الفصيح ، لم تكن فى جملتها الا وليدة تلك المفاهيم ، متصفة بما هو مشترك فى المعنى بين التعابير السابقة الذكر ، ومن مدلولاتها الكد والجهـد والابتلاء والامتحان وحتى البلايا والمحن ، وانا اعتقد ان صورة البطولة العربية الصادقة التقليدية تتمثل فى تلك الاوصاف بل تبرز منها ، بكـرا وضاحـة ، كالتبر من النار او كالطفل من المخاض ، ونجد هنا الفاصل بين بطولة الغرب وبطولتنا كما قدمت آنفا واذا رجعنا الى بعض الامثلة فى القرن الاول الهجرى وبالاخص فى خلافتى معاوية وابنه يزيد ، رأينانا يمجد مواقف نفر من الصحابة والتابعين ، كانوا من فرسان الوفاء وابطال التضحية وان لم يخلد ذكرهم فوز بالسلاح ولا نصر حاسم الا ما كان من علو هممهم ونصرتهم للحق ٠ هذا حجر ابن عدى الكندى ولحجر مأساة ارتجت لها الامة الاسلامية فى أوانها رجة ذات عرض وطول ، فأرسلت السيدة عائشة الى معاوية ، فى طلب اعفاء حجر من الموت ، رجلا من رجالات بنى هاشم ، وبكى لموته وانتحب بمسمع من الناس رجل من خيرة المسلمين وهو عبد الله بن عمر بن الخطاب فى المدينة ، واشمأز منها اباء وسخطا قائدان من قواد العرب وولاتها وهما معاوية بن حديج فى شمال افريقيا والربيع بن زياد فى خراسان وكان لها صدى ردده فيما بعـد الحسن البصرى رحمه الله بلهجته الرائعة اذ قال فى معاوية « ويل له من حجر واصحاب حجر ! ويل له من حجر واصحاب حجر ! »

ولكن من هو حجر هذا ؟ ليس لنا بد فى التقديم له قبل ذكر محنته وبطولته المعنوية من ان نستشهد بما كتبه طه حسين : « قد كان حجر بن عدى الكندى رجلا من شيعة على المخلصين له الحب ، شهد معه الجمل وصفين والنهروان وكره صلح الحسن ولام الحسن فى هذا الصلح ولكنه بايع معاوية كما بايعه غيره من الناس ووفى ببيعته دون ان يضطره ذلك الى ان يرفض عليا او يبرأ من حبه بل‌دون ان يضطره ذلك الى ان يؤمن لمعاوية وعماله بكل ما كانوا يفعلون وكان حجر من صالحى المسلمين ، وفد على النبى (صلعم) مع أخيه هانىء بن عدى فيمن وفد عليه من قومهما ثم شارك فى حرب الشام وأحسن فيها البلاء

وكانه كان فى مقدمة الجيش الذى دخل مرج عذراء قريبا من دمشق ، ثم تحول الى العراق فشارك فى غزو بلاد الفرس وابلى احسن البلاء فى نهاوند ... وكان رجلا حرا صادق الدين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويرضى عن السلطان ان أحسن ويسخط عليه ان أساء ... وكان ينكر اشد الانكار سنة بنى أمية فى شتم على واصحابه على المنبر ولم يكن يخفى انكاره »

وكان انكاره هذا الاخير هو الذى ادى به الى المحنة بعد قصة طويلة يذكرها الاستاذ طه حسين فى « الفتنة الكبرى » ومنها ان حجرا واصحابه قاموا ذات يوم فى وجه زياد والى العراق الغاشم وهو يهجو عليا فى خطبته ، صائحين « الصلاة ! الصلاة ! » الى ان قطع خطبته ، ثم سعى زياد فى طلب حجر بكل وسيلة ، منها التنكيل ببعض رجالات الكوفة وزعماء كندة حتى أتوه بعد أن اعطى أمانا على نفس حجر ولكنه سرعان ما غدر به ، فزور الشهادات وحمل الناس قهرا على الاتيان بها « ولم يتحرج من ان يكتب اسماء نفر لم يشهدوا ولم يحضروا هذه الشهادة » حسب قول طه حسين ، ومفادها أن حجر او اصحابه « قد خلعوا الطاعة وفارقوا الجماعة وبرئوا من خلافة معاوية وهموا باعادة الحرب جذعة » ورفع المساجين بعد ذلك الى الشام وحبسوا بقرب دمشق فى مرج عذراء تلك القرية التى شاهدت انتصار حجر مع الفاتحين فى بادىء ذى بدء ، ثم اجريت فيهم شبه محاكمة و « عرضت عليهم البراءة من على ولعنه وتولى عثمان ، فمن فعل منهم ذلك أمن ومن أبى منهم ذلك قتل » فأبى البراءة من على وأبى لعنه سبعة منهم وكانوا ثلاثة عشر ، فهيأ معاوية لارهابهم « السيوف المشهورة والقبور المحفورة والاكفان المنشورة » كما قال حجر بن عدى قبيل موته وكان فى ابائهم رغم ذلك كله وفى موتهم نوع من البطولة اذ سبق لهم الخيار فى أن يعيشوا مع لعنهم عليا (رضى) او يموتوا مخلصين له

وهذا أبو بلال مرداس بن أدية ، ذكره صاحب « العقد الفريد » وأطال فى الاخبار عنه الاستاذ طه حسين فقال « كان ابو بلال صاحب زهد فى الدنيا وتنزه عنها ، مؤثرا للخير ، ناصحا للمسلمين ، برا بمن عرف ومن لم يعرف من الناس ... شهد صفين مع على وانكر الحكومة وخرج مع اصحاب النهروان ثم اعتزل الشر وأقام فى مصره بالبصرة ، خارجى الهوى ، مشيرا على الخوارج ، ناقدا لبعض اعمالهم منكرا لنشر الفساد فى الارض ، زاريا على اعتراض الناس وقتلهم بغير ذنب ، حتى اذا ولى زياد البصرة وخطب خطبته تلك البتراء كان الرجل الوحيد الذى أنكر عليه قوله « لآخذن البرىء بالمسىء والصحيح بالسقيم » وذكره قول الله عز وجل (وابراهيم الذى وفى الا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان الا ما سعى) ولكنه على ذلك أقام فى مصره يأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر ويشيع الدعوة الى الخير من حوله حتى هلك زياد وولى البصرة ابنه عبيد الله بن زياد • » وكان عبيد الله أقسى جانبا من أبيه وأطغى ، فتتبع المعارضين لسياسة بنى أمية من أهل السنة والشيعة والخوارج واتفق أن سجن أبو بلال مع من سجن « فأحبه سجانه لما رأى من عبادته وحسن تلاوته للقرآن ، فكان اذا جن الليل أطلقه وربما أطلقه النهار أيضا فكان يلم بأهله ويعود الى سجنه • وقد بلغه ذات يوم وهو مطلق ، ان عبيد الله ابن زياد ازمع قتل الخوارج المسجونين ، فلما اقبل الليل تنكر حتى عاد الى سجنه وآثر القتل على أن يخون السجان فى نفسه ويعرضه لغضب السلطان » وكان يكفى هذا كله لاظهار بطولة مرداس لو لم تكن هناك اعمال اخرى تزيدها رونقا وشيئا كثيرا من الفروسية الحربية • اطلق سراح أبى بلال مرداس بعد قتل من قتلوا فى السجن ولكن سلوكه فى سبيل الحق ومعارضة الظلم لم يزده الا حافزا بعد آخر فرأى يوما من الايام بالكوفة امرأة قد قطعت يداها ورجلاها بأمر من عبيد الله بن زياد ، ومثل بها فى السوق ، فخرج فى اربعين من اصحابه مجاهدا وهو يقول ، كما أخبرنا بذلك ابن عبد ربه : « انه والله لايسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجرى علينا احكامهم مجانبين للعدل ، مفارقين للعقل ، والله ان الصبر على هذا لعظيم ، وان اخافة السبيل لعظيم ، ولكنا لانبتدئهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا » وهكذا كانت سيرته مع من ارسلهم عبيد الله لمحاربته فهزمهم شر هزيمة وكانوا ألفين اثنتين ورجع عبيد الله الكرة فأرسل اضعافهما فتغلبوا على ابى بلال واصحابه الاربعين اثناء موادعة كانت أبرمت بين الفريقين وقتلوهم فى صلاتهم غدرا • ومن تتبع حروب الخوارج وحروب الشيعة رأى العجب العجاب من البطولة الا انها بطولة تبعث الحزن والاسى وترجع على الاسلام بالويلات المتوالية والاضغان المتراكمة وأصدق دليل على الجو النفسى الذى أحدثته تلك البطولة المزعجة ، قصيدة الطرماح فى رجائه أن يموت شهيدا ، حسب مفهوم الخوارج ، بجانب رفقائه ، وهو القائل :

اذا العرش ان حانت وفاتى فلا تكن ... على شرجع يعلى بخضر المطارف
ولكن أحن يومى سعيدا بعصبة ... يصابون فى فج من الارض خائف
عصائب من شتى ، يؤلف بينهم ... هدى الله ، نزالون عند التزاحف
اذا فارقوا دنياهم فارقوا الاذى ... وصاروا الى موعود ما فى المصاحف
فأقتل قعصا ثم يرمى بأعظمى ... كضغث الخلا بين الرياح العواصف
ويصبح لحمى بين طير مقيله ... دوين السماء فى نسور عواكف

فامتزجت صلابة الالفاظ وحدتها بصخب العواطف وهيجها حتى قل مثيلها

فى الشعر العربى الا ما كان من بعض الابيات فى لامية الشنفرى ، تنوه بحماسة أخرى مع ان مرجعها نفس المرجع ، ماعدا الروح الدينية : طبيعة شعواء ، تجرد تام فى الحياة وفى الممات ، وتيار جارف كالغريزة الاولى يألف قساوة الارض وعصمة السماء ويكاد أن يملا الفضاء لهفة تتردد فى جنباته وهوى عسيرا ولسنا فى حاجة الى اظهار الفرق بين مثالية الطرماح وبدائية الشنفرى ولكن الشدة واحدة والاقبال على التجرد واحد ٠

ثم تتطور الاحوال وتتطور الافكار فى العالم العربى ويستتب السلم الاغرارا ويعظم شأن بنى العباس فى اول عصرهم الى المعتصم ، ثم تترى الحوادث والخطوب من جديد بصفة تتزايد ارتياعا فتتقلص بسببها رقعة المعنويات القديمة ورقعة السلطان الشرعى وحتى رقعة النفوذ العربى فى السياسة والجيش ، فتعبث ايدى الاتراك الغاشمة بتراث قيم صقلته العرب والفرس والموالى معا طيلة ثلاثة قرون ونصف ، ثم يتغلب بنو بويه على الدولة الاسلامية فى العراق وما وراء العراق فيتناولون ذلك التراث بمهارة وحذق غير انهم يضعفون من جانبه الاخلاقى ، لا الفكرى ، ويضغطون على خلفاء بنى العباس ويتعصبون للديلم والفرس ، واذ كنا بصدد موضوع معين هو موضوع البطولة لابد لنا إن نزيد الى الاوصاف العامة ميزة امتاز بها ذلك العصر ، ابتداء من النصف الثانى للقرن الرابع الهجرى ، وهى وفرة الجنود والولوع الشاذ بتنظيمها وتسليحها ، والمباهاة بعناصرها الجنسية المختلفة ، فهذا أمر مهم للغاية ، له أثره العميق فى خلق جو خاص وسوف يكون له نفعه الحربى البليغ فى مقاومة الصليبيين اثناء القرون المقبلة ، وعلينا ان نحقق معنى هذا كله قائلين ان شغف اهل العصر وذوى السلطان بالجنديات ، كان من شانه ان يؤدى الى كثرة العساكر النظامية المرتزقة وهى سنة سنها علوج الاتراك فى اول الامر ثم اتبعها بنوبويه فنتجت عنها عقلية ادل ما يدل عليها كلمة Militariste الفرنسية ، وهى ليست حربية فحسب او عسكرية فقط وكأنها تتمذهب بنظامية صارمة وشدة متكلفة ، المدار فيهما ان يفوق الجنود وامراؤهم جميع البشر وترجح اعمالهم ومزاياهم على غيرها فيصبحون طبقة اجتماعية على حدتها ، لها مراتب عديدة بينة ، تنتهى الى شبه نظام اقطاعى ٠ اما فى العصر الذى نحن بصدده ، اعنى اواخر القرن الرابع الهجرى ، فان بوادر ذلك النظام كادت تقتصر على الميدان العسكرى وعلى ناحية من الميدان السياسى بطبيعة الحال ، لم تتعدهما الاقطاعية الى الميدان الاقتصادى بوفرتها الساحقة الا فى عصور الانحطاط وان كان منها انذاك النصيب المعتبر ٠ واذا نظرنا الى الميدان الحماسى المحض رايناه يتصف بالعزة العسكرية والنخوة الحربية فى مدلولهما

النظامي اكثر مما كان يزدان بالفروسية المطلقة الا ما قل وندر وليس السبب في ذلك قصور الترك والفرس عن السجايا التي يتحلى بها الفارس من شجاعة واستبسال ، وكانوا أهلا لها ، وانما هي الاوضاع المكونة لدولتهم كما سبق والظروف التي جعلتهم يفرغون اكثر هممهم في تضخيم قوتهم المادية ونشر سلطانهم ومحاربة دويلات العجم الاخرى بينما كانت تجرؤ الروم فتغير على الحدود وتتوغل في الثغور وتهدد ديار الاسلام تهديدا فعليا ولولا حزم بني حمدان وجهادهم لاغتنم العدو الفرصة للقضاء على الشرق الاسلامي . وقبل التعريف ببني حمدان وذكر بطولتهم أود ان يتاتى للقارىء ، فيما بعد ، المقارنة بين شعر ابي فراس الحمداني ومآثر سيف الدولة وبين أنموذج من شعر أحد امراء بني بويه ، وهو تاج الدولة ابو الحسين البويهي ، يمثل نظرية في البطولة الارستقراطية العسكرية النظامية المالكة ، فأقدم تلك الارجوزة :

ألا شفيت علتي	من العداة بالتي
وصارم مهند	ماض رقيق الشفرة
وليلة أحييتها	منوطة بليلة
كانما نجم الثريا	في الدجى ومقلتي
جوهرتا عقد على	نحر فتاة طفلة
وعسكر عرمرم	يملك كل بلدة
حشو الجبال والفلا	مواكب من غلمتي
نصرتهم مني ومن	رب السماء نصرتي

وهو شعر خفيف سيال لامحالة غير انه ينقصه الوقار في اللهجة والسمو في المعاني كما هو شأن الشعر الحماسي غالبا ولعل في ذكر السلاح واستعمال لفظة « غلمتي » اشارة تفيد من جهة ولوعا خاصا فيه نوع من التفنن ومن جهة أخرى شعورا بالمرتبة الاجتماعية وجلب الغلمان الاعاجم وتجنيدهم والمباهاة بعددهم وطواعيتهم شبه الآلية

اما دولة ءال حمدان فكانت آية في شتى الميادين يعتز بها التاريخ مع قصر حياتها وصغر حجمها ولا شك ان معاصريها من العرب وحتى من العجم كانوا يعتبرونها كواحة غناء للمكارم والفضائل والعلوم ، ومن بين الميادين التي فاز فيها امراء بني حمدان في اواخر القرن الرابع الهجري تلك الشهامة الغراء وتلك البطولة الساطعة اللتان كاد يندر وجودهما عند غيرهم ولا غرابة في أن نرى كتب معاصريهم ومدائح الشعراء تلهج بذكر سيف الدولة زعيم امارة حلب وسائر الشام ، ويكفي سيف الدولة فخرا في رعايته للفلاسفة وعلماء

اللغة والكتاب والشعراء ، أن حظى عنده اكبرهم في كل علم وفن ويزيده فخرا أنه أحيا في العرب وهو من قبيلة تغلب العربية ، وفي العجم وفي المسلمين قاطبة ، فروسية ومثائر سجلها التاريخ قبل ان يشيد بها المتنبي والعشرات من الشعراء ومنها انه حمى الثغور في اكثر من اربعين وقعة وكبد الروم خسائر فادحة وهزم جيوشهم المتجاسرة في اغاراتها على الشام و « كان له وعليه » في غزوه اياهم ، كما يقول الثعالبي ، ولايامه فيهم وفي قبيلة كلاب التي شوشت عليه الامر ، فعال تبرهن عن جانب كبير من الانسانية والحلم ، وعن سلوك الفارس العربي الذي يأبى أن يهين عدوه المغلوب ويعبث بحرمه ويوقع به من دون حق ، ويقول المتنبي في نساء من كلاب انقذهن سيف الدولة من السبي وصان أعراضهن حينما كانت السبايا والقيان تملا الاسواق في ذلك العصر :

قعدن كما أخذن مكرمات تصيبهم فيؤلمك المصاب
وليس مصيرهن اليك شينا ولا في صونهن لديك عاب
ولا في فقدهن بني كلاب اذا أبصرن غرتك اغتراب
وكيف يتم بأسك في أناس تصيبهم فيؤلمك المصاب

والبيت الاخير من ألطف ما قيل في رأفة البطل الظافر ، بعدوه المغلوب وفي الاشفاق عليه وان كان أهلا للعقاب ، ونجد نفس المعنى تقريبا في مدائح ابي فراس الحمداني ، وابو فراس ابن عم سيف الدولة ، احرز مثله حظا وافرا من الفروسية والبطولة ويعتبر شعره الحماسي قمة شاهقة منيعة في الادب العربي ، نتحدث عنه فيما يلي كصورة صادقة لكثير من المفاهيم البطولية المتداولة عند اهل العربية ومن أبرع المديح ، ما يقوله فارس في نده وقرينه ، بل فيمن يقتدى به في فروسيته ومن شعر ابي فراس ، هذا الاعتراف بفضل سيف الدولة عليه :

وانك للمولى الذى بك أقتدى وانك للنجم الذى بك أهتدى
وأنت الذى عرفتني طرق العلا وانت الذى اهديتني كل مقصد

او ذلك :

حملت على ورود الموت نفسي وقلت لصحبتي موتوا كراما
وهل عذر وسيف الدين ركني اذا لم اركب الخطط العظاما
وأقفو فعله في كل أمر وأجعل فضله أبدا اماما

ومن قوله فى معاملة سيف الدولة الشريفة واحسانه لنساء بنى كـــلاب وفى غزوه الروم ابيات تطفح بصفات تكاد تشمل خير ما يتصف به الفارس البطـــل :

ومازلت منذ كنت تأتى الجميل ... وتحمى الحريم وترعـى الحسب
فكنـت حماهـــن اذ لاحمـــى ... وكنـت اباهـــن اذ ليس أب
فوليـــن عنـك يفدينهـــا ... ويرفعن من ذيلهـا ما انسحب
ينادين بيـــن خـلال البيـو ... ت لايقطع الله نسل العـرب !
أمـرت وانت المطاع الكريـــم ... ببـذل الامـــان ورد النهـــب

ويقول فى غيرهـا :

وقد درى الروم مذجاورت أرضهـــم ... ان ليس يعصمهم سهـل ولا جبـــل
فى كل يوم تـزور الثغـر لاضجـر ... يثنيك عنـــه ولا شغـل ولا ملـــل
فالنفس جاهـدة والعيـــن ساهـــرة ... والجيش منهمـك والمـــال مبتـــذل

ثم اننا نرجع ، مع فخريات أبى فراس و « رومياته » الى ما نعتبره كالعمود الفقرى فى شعر العرب البطولى ، ولابى فراس الحمدانى محنة او قل شجى ولوعة كما سبق للكثير من ابطال العرب ، اظهر فيهما صبرا وتواضعا واحساسا بكبريات الامور والاحداث ، لامثيل لها . وقع جريحـا فى احدى غزواتـــه وأسره الروم وبقى أسيرا مدة اربع سنوات بين المرض والحنين الى الوطن وربما قال احسن شعره فى أسره هذا بالقسطنطينية وكأنه كان ممزقا بين ذكر ما سلف من مئاثره ومئاثر قومه وبين ما يهفو اليه قلبه من جهاد حتى كـــاد يستبطىء مفاداته ، وهو اذا شكا الزمن فلأنه يعطف على امه العجوز ويرثـــى لحالها ويعبر عن شىء كثير من الدعة والانسانية والترحم بها مع شدة بأســه وعلو همته الى ان يقول :

لولا العجـــوز بمنبـــج ... ما خفت اسبـــاب المنيـــه
ولكان لى عمـا سألت مـــ ... ـــن الفـــدى نفس أبيـــه
فيها التقى والديـن مجمـو ... عـان فى نفس زكيـــه
يـا أمتـــا لا تحزنـــى ... وثقـى بفضل اللـه فيـه
يـا أمتـــا لا تيـــأسـى ... للـه ألطـــاف خفيـــه
اوصيـك بالصبـر الجميـ ... ـل فانـه خير الوصيـه

ثم لا يتمالك فيتحسر لانفرادها وضياعها :

يا حسرة ما أكـاد أحملهـــا ... آخرهـا مـزعـج واولهـــا
عليلـــة بالشئـــام مفـــردة ... بـات بأيـدى العـدى معللهـا

ولسنا نذكر مثل هذه الابيات للاستشهاد بصدق لهجتها فحسب وانما نذكرها للدلالة على جانب يستهان به عادة فى وصف البطولة العربية ، كأن البطل آلة صماء أو دابة عجماء ، لايحركه محرك بشرى سوى القتال وحب الغلبة والبطش بالاعداء ، ولا يهزه شعور انسانى ما ، وابو فراس هو الرجل الكامل الانسانية يكفينا درس شعره يقينا بأنه لا يتزمت ولا يتكلف فى سلوكه كمن حفظ دورا مسرحيا او أفرغ شخصيته فى شخصية مصطنعة ، معصومة ، لا يمسها ضعف ولا يخالجها قلق ، واذا آنسنا ببطولة ابى فراس فلانها تقنع فى وقت واحد شعورنا بالواقع وترضى طموحنا الى مثالية يتيسر لنا ادراك ماهيتها العليا ، وكم تروعنا لهجته ذات الاخلاص والتواضع وهو الفارس الاسير الذى حمل من ساحة الوغى الى الحبس مثقلا بالجراح وكأنه ـ فى ظنه ـ لم يف بكل واجباتـــه :

أسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى ولا فرسى مهر ولا ربــه غمــر
ولكن اذا حــم القضاء عــلى امرىء فليس لــه بــر يقيــه ولا بحــر
وقال أصيحابى : الفرار او الردى ! فقلــت همــا امران احلاهمـــا مــر
ولا خــير فى دفــع الــردى بمـذلــة كما ردهــا يومــا بسوأتـــه عمــرو

ثم تهيج افكاره ويرى نفسه حرا والروم أسرى لديه :

اذا عاينتنى الــروم قد ذل صيدهــا كأنهــم أسرى يــدى بـــلا كبــل

ويرى نفسه بين قومه ويعتز بهم وهم كما يقول :

لئـــن خلق الانـــام لحث كـــأس ومـزمـــار وطنبـــور وعـــود
فلم يخلــق بنــو حمـــدان الا لمجــد او لبـــأس او لجـــود

ولا يفوته ان يتسلى فى أسره اعتبارا لنوائب الدهر وغيره التى تسعد يوما وتشقى آخر ولربما وقع ذلك فى المكان الواحد « كخرشنة » حيث أسر نهائيا :

ان زرت « خــرشنـــة » اسيـــرا فلقـــد حللـــت بهـــا مغيـــرا
ولقــد رأيـــت النـــار تنتـــ ـــهب المـــنـــازل والقصـــورا
من كـــان مثلى لــم يبــت الا اميـــرا او اسيـــرا
ليســـت تحـــل سراتنـــا الا الصـــدور او القبـــورا

ثم تترى عليه ذكرياته وتزاحمه فيعددها ، لاكمن عدد مفاخره وهى موات ولكن كرجل شب فى الحروب والمكارم وتشوق الى متابعة الجهاد فما فتىء لسان حاله يفصح عن كل ذلك ويتعلل بذكر الحرب وهى ، حسب تعبيره : « طعامى مذبعت الصبا وشرابى » وهو القائل فيها :

وانى لجـرار لكــل كتيبـــة معودة ان لايخــل بهـــا النصر
وأصدأ حتى ترتوى البيض والقنا واسغب حتى يشبع الذئب والنسر

وهو المحصى لمكارمه التى لاتحصى :

وتعاف لى طمع الحريص فتوتى ومروءتى وقناعتى وعفافى
ومكارمى عدد النجوم ومنزلى مأوى الكرام ومنزل الاضياف
لا أقتنى لصروف دهرى عدة حتى كأن خطوبه أحلافى
شيم عرفت بهن مذ أنا يافع ولقد عرفت بمثلها اسلافى

وهذه الابيات ، أن كانت تعدد صفات خاصة بصاحبها الا انها تهمنا اهتماما بليغا لما تحويه من المفاهيم التى اضحت فى القرن الرابع الهجرى وبعده خطة يتبعها كل فارس ممتاز وناموسا يقتدى به ، فنشير من بينها الى « الفتوة » والى « العقاب » وكانت الفتوة فى أواخر العصر العباسى مذهبا فى المورءة والظرافة معا ، يسلكه ابناء الملوك والسراة اما العفاف فهى ميزة نبيلة مصدرها الدين ، وكثيرا ما اتصف بها الفرسان والظرفاء ويزيد ابو فراس الى خطته هذه ، قوانين أخرى تتم بفضلها وتكمل تلك الصورة التى رسمها لنفسه وهى فى الحقيقة صورة للبطولة فى احدى مراحلها فيقول :

لست بالمستضيم من هو دونى اعتداء ولست بالمستضام
رب أمر عففت عنه اختيارا حذرا من اصابع الايتام
أبذل الحق للخصوم اذا ما عجزت عنه قدرة الحكام

ولعمرى ، ما هذا كله من شيم اناس سبقت لهم فى تكون الروح العربية وخلق الفروسية جهود ومحن ولسنا بالواقع مغترين اذ البطولة تعرف بالافذاذ والخيار وانما الروح هى هى ، توحى من استوحاها وتشهد عنها الاعمال مع كثرتها فى كل عصر ·

ومتى نتقدم فى الاعصر نجد سبلا أخرى تؤدى الى هذه الفكرة وقد تغيرت الاوضاع من جديد وكادت تصير البطولة ضرورية بالتدريج ، تتحول من الفرد الى الجماعة ، والسبب فى ذلك ترادف الاكتساحات الضخمة والغارات المستمرة العنيفة التى شنها الصليبيون والمغول والتتر على العالم العربى فى مدة ثلاثة قرون متوالية ، فكانت بطولة صلاح الدين الايوبى والظاهر بيبرس وامثالهما منوطة بجهود مجهولة لازبة قامت بها الجماهير ولطالما سبلت الانفس والنفائس وهى فى حالة العزل متيقنة بأن المصاب جليل وبأن الامة الاسلامية ربما أوشكت على الهلاك ، فهى مواقف لم يسبق مثلها وان كانت لاتتصف بالقومية حسب تعبيرنا الحديث الا انه كان ثمة شعور حاد بوحدة الامة المحمدية وبعظمة تراثها وحرمة حماها ، ولكم تعجبنا وتؤثر فينا صفحات قيمة شريفة كتبها ابن حزم

فى الاندلس تضامنا مع بنى الاسلام فى الشرق وذكريات مؤلمة سجلها الامير أسامة بن المنقذ فى الشام أيام الحروب الصليبية الاولى ٠ ولكن أثناء الحروب الصليبية والغزوات التترية كان يتمتع العالم العربى بالسؤدد والنظام السياسى المتقن والقوة والحضارة ومن شأنها ان رجحت كفة الاسلام مع قلة ابنائه بالنسبة لجموع الغزاة الافرنج والآسويين ذوى العدد والعدة ، وهذا ما يزيد فى بطولة ذلك العصر على العموم وبطولة صلاح الدين وبيبرس والكثير من اصحابهما فى الشام ومصر فى الوقائع العديدة وفى وقعة عين جالوت التى تعتبر حقا كاكبر انتصار احرزه المسلمون فى تاريخ مقاومتهم للعدوان الاجنبى فى اواخر القرون الوسطى ، ولكن ذلك الجهد العنيف المستمر طيلة الاعصر وتلك الكوارث المتتابعة قد ادت بالعالم العربى الى كثير من النزف واضعفت من جانبه الاقتصادى لاسيما والطرق التجارية الكبرى العالمية كادت تحيد عن الشرق الادنى بعد الاكتشافات الجغرافية التى قام بها سياح الغرب وملاحوه من برتغاليين وجنويين وغيرهم فى القرن الخامس عشر المسيحى ، ثم ألم به فى مستهل القرن السادس عشر خطب آخر هو الفتح العثمانى لسائر اقطار العروبة ما عدا المغرب الاقصى ، وبسردنا هذه الظروف كلها نريد ان نبين حالة الجو العام فى المجتمع العربى حينذاك وما كان للقيم المعنوية والنظم واساليب الفكر والعقليه ان تستمد منه ، واذا استثنينا عهد المماليك فى مصر على الاخص ظهرت لنا حالة العالم العربى فى مثالها المستمر التدريجى نحو الانحطاط بما فيه من لغة وانتاج أدبى وسياسة وحضارة ، وأمسى الصوفية وأقطابهم يقومون فى غالب الاوقات مقام الفرسان والابطال وكأن سير الأولياء و « كراماتهم » كادت تنسى مئاثر الشجعان وهى قليلة الا ما كان فى ديار المغرب من الجهاد لماما ضد البرتغاليين والاسبان وما كان ايضا ، فى ميدان الخيال والذكرى ، من التعلل بالماضى وبطولته ، وهناك فى الواقع ، ظاهرة تنبىء من جديد عن تلك الرغائب التى لاحظناها فى الشعر الجاهلى ولكنها رغائب وحاجيات نفسية من نوع آخر ، تهدف الى اعادة المفاخر والتسلى بذكراها ومن أهم خصائصها انها ليست تخالج اهل الفصحى وتضطرب فى اشعارهم ، بل أصبح يعبر عنها لسان العامة ، وتسعها المطولات من الكتب الشعبية منطلقة العنان ، مندفعة الخيال ، تتناول موضوع الحماسة بأهواء واتسم بتفاهة لامثيل لها وآثر الاصطناع على الابداع بينما كانت القريحة الشعبية منطلقة العنان ، مندفعة الخيال ، تتناول موضوع الحماسة بأهواء مفرطة وأشواق متطايرة ، تخلط الواقع بالمثالية ولا تعبه بنظام التاريخ ودقته لانها تعيش فيه بفضل غريزة حدسية وحقائق صرمدية ، تختار منها حسبما شاءت : الاصل دون الفرع ، او الفرع دون الاصل لانها تتوق الى ذكر البطولة ارضاء لحاجيات روحية أكيدة كالماء والطعام ومن غريب المصادفة اننا نجد تلك الظاهرة فى تاريخ جميع الشعوب اثناء الظروف الحرجة التى تجتازها ، لاسيما فى العصور الخالية من البطولة الفعلية وبعد الهزائم القومية الفادحة ، وكان

هذا شأن الكتاب والشعراء وحتى المؤرخين فى العهد « الرومنطيقى » وبعده بفرنسا مثلا ، حيث نشأت نزعة الرجوع الى الاسطورة المؤرخة والاشادة بالمئاثر الوطنية والاطراء بابطال الماضى ولم يصدر ذلك عن الغلاة والمتطرفين السياسيين بل عن أناس اشتهروا بميولهم الشعبية كميشلى Michelet وفكتور هيغو V. Hugo وبيرانجى Béranger ؛ وقع ذلك غالبا بعد نكبة نابوليون الاول وفى غضون الملوكية والامبراطورية الثانية المتسمتين بروح البرجوازية والخذلان .

ولكن كان ذلك أكثر روعة فى أدب العرب الشعبى ، اذ الشعور متقد والخيال فياض ، والملاحم طويلة الذيل ، تحوى ما تحوى من الابطال والفعال . ومن شدة الولوع بها ، كان المستمعون لها فى حالة من يرى ويشاهد ويتحمس مباشرة ويفرح ويغضب وينعر ويحث ، او يحزن حزنا صادقا لفقد بطل من ابطال القصة ، وهذا يدل على كرم العواطف ورغبة غريزية بليغة فى تجسد ما للبطل من احوال تعتريه فى ساحة الحرب ومواجهة الاخطار ، وهى قبل كل شىء ارادة لاشعورية يتوصل بها المستمع الامى المتحمس الى احياء ما يروقه من المواقف البطولية والمساهمة فيها باحساسه ولو طوى عليها الدهر طياته وكأنه يتلهف الى الماضى ورجالاته ، ويكون السبب فى خلق « الحاجة البطولية » عند الشعب ، ما يصيبه من كوارث تفصله عن تاريخه القومى ، وكثيرا ما تتبعت السلطات الاستعمارية بالجزائر شعراء الملحون واضطهدتهم وسجنتهم ونكلت بهم ، عملا بأوامر الجنرال « براقى ديلى » Baraguey d'Hilliers نائب « بيجو » حوالى سنة 1844 ، ولم تزل الى اليوم ، ولا سيما قصاص البطوليات منهم وما هذه الا لمحة من مصيبة عامة لاننا لاننسى مثلا الكارثة التى اوقعها الغرب بالشرق ، عربيا كان او آسويا ، اثناء العدوان الاستعمارى الطويل ، ومن نتائجه ان الغزاة الاربويين استعملوا فى فتوحاتهم وهجوماتهم اساليب تنافى مبادىء البطولة والشرف ، فأصبحوا يطأون اصقاع آسيا وافريقيا بسلاحهم الفاتك الهدام وغطرستهم الغاشمة ، الامر الذى أساء التأثير فى قلوب الشرقيين والافارقة وجعلهم يأملون فى الاخذ بالثار عاجلا او آجلا ويرجون استرجاع كرامتهم الجماعية ، مباشرة او بواسطة أمة شرقية ما . وقع ذلك بالفعل فى اوائل القرن العشرين لما هزم اليابان الامبراطورية الروسية ، جيوشها وأساطيلها ، فى « بوأرتور » Port Arthur سنة 1905 وفى غيرها من الوقائع ، وكان اليابان حديثى العهد بالنظام العسكرى الجديد الطراز ، بينما كانت روسيا من اضخم الدول الغربية ، فاهتز الشرق حماسا لتلك الانتصارات الرائعة لاسيما وفى سلوك اليابان المعنوى الشىء الكثير من الشيم التى كان يألفها المشارقة فى تواريخهم وتقاليدهم الادبية ، وان أظهرت الانتصارات اليابانية شيئا فانها أظهرت البينة على ان البطولة الشرقية لم تمت وانها ستعود كما كانت وان مركب النقص قد نزع من عقلية أهلها أو كاد ، ولسنا نستغرب اذن أمر حافظ ابراهيم الذى نوه بفوز اليابان فى

احدى قصائده ومدح بطولتهم وكانت له فى ذلك لهجة مؤثرة للغاية وكان له حماس من شأنه أن بشر سائر الشرقيين بعهد جديد • وهذا الرئيس جواهر لال نهرو السياسى العبقرى المسالم الوديع يقول لاحد مراسلى صحيفة فرنسية فى هذه الاشهر الاخيرة ان انتصار اليابان فى اوائل القرن العشرين كان له الصدى العميق فى نفسه وفى نفس الجيل الهندى المعاصر له فأثار فيهم حماسا وغبطة وزادهم اعتزازا بالروح الشرقية فى صراعها مع الطغيان الاروبى وهذا الرحالة الفرنسى « موريس برنو » Maurice Pernot وكان فى انحاء افغنستان حوالى سنتى 1926 ـ 1925 ، فرأى يوما فى كابول جموعا غفيرة تحتفل بانتصار من انتصارات الامير عبد الكريم الخطابى وراءه ذلك الانفعال التضامنى بين امتين ، احداهما بأقصى المغرب والاخرى بأقصى أواسط الشرق الاسلامى بيد انه لم يكن هناك أدنى اتصال مادى لعدم التعارف بين مختلف الشعوب المستعمرة وقد ضرب الطغيان الاجنبى حول كل شعب سورا يفصله عن غيره وانما هى تيارات قوية كان يبعثها فى صميم الجماهير الشرقية والاسلامية أينما وجدت ، عامل شبه الضرورى من عوامل الولوع بالبطولة التحريرية ذات الوظيفة النفسية السياسية معا • ولا بد ان نقف عند ظاهرة كهذه ، ليتيسر لنا فهم الظروف والاوضاع التى جرت فيها مقاومة الشعوب المستعمرة وقد سبق التلويح الى ان الحروب الصليبية والهجومات المغولية التترية أحالت البطولة من خاصة الناس الى عامتهم ، ومن فردية مذهبها الى جماعيته وزادتها قيمة ايجابية فعالة ترد الى ضرورة الكيان القومى او العقائدى او السياسى المشترك اكثر مما ترمى الى سمعة خاصة او فخر لا لزوم فى نيله ، وبضرورة الاحوال وتطورها وتتابع الاخطار المهددة لحياة الشعوب صارت البطولة جهدا وجهادا ومجاهدة أمسى المحرك فيها غريزة البقاء وهكذا كله يقرب فى المعنى من كلمة : **مقاومة** ومدلولها ،ونحن نرى تدريجيا ما آلت اليه مفاهيم البطولة •

ظلال وأنوار

بقلم أحمد المختار الوزير

رعشتْ كفّه تلمّسُ، في المرمر، آثـارَ نحتـه، وافتنـانه

ذاهلاً، أين، ليس يدري، على الخدّ، أم الجيـد مستقرُّ بنـانه

أم علِى النهد، والذوائب تغشاه، وتخفي ما لجّ من طغيانه

رَعَشات يمشي بها الصَّمْتُ في التمثال ظمأى لمجتلى عُريانه

هيَ كالأعين النواظر، لو شاء غناء، أغنته عن لحظاته

وأتمَّ الفنّانُ، والجهْدُ يُضْنيه، فصيحَ التَّقْدير من إنسانه

فإذا الوجه روْعَة، وإذا الجسمُ شبابٌ في منتهى عُنْفُوانه

وإذا الجَفنُ فتنة، لو تحدَّت مَوْج بَحْرٍ لكفّ عن خلَجاته

وإذا البسمة السخيّة بَوْحٌ وَشْوَشَاتِ العشّاق من افنانه

وإذا الخصْرُ ساكن، وهو يبدي رَقَصَاتِ الاغراء من خطراته

وإذا الأنْملاتُ تجْذبُ شفًّا مِنْ فضول الوشاح بعد احتضانه

يا الجهد الفنّان، كم ظلّ يَرْنُو لصنيع الازميل في صفوانه

❀ ❀ ❀

وادْلهَمَّ الظلامُ، من ليله السَّاجي فكَفّ القَدُومَ عن ضَرَباته

وتَنَحَّى هُناكَ، غيْرَ بعيدٍ ومعاني التمثال في أجفانه

وارتعاشٌ بكَفّه، وحَنينٌ هو حُمَّى تموج في كيّانه

ومَضَى، مُطرقاً، يُمَزّقهالشكُّ ورَضٌّ العشيّ من أحزانه

أرخامٌ، من باطن الأرض، يَجْلُو قُدُسيَّ الاشراقِ من ايمانه
أمْ وجودٌ. من التراب، تَسامَى فجلاه الجمالُ سحرَ بيانه
أمِن اللهِ ما يَرَى، من جَمالٍ، ليس يدري، أم ذاك من شيطانه
كلّما لجّ في السُّؤال تَلَظَّى غُلُواءُ الجحيم من أشجانه
وَدَّلو يَشهَدُ الجمالَ فريدًا، فغناءُ العيونِ مَحْضُ عِيَانه
ودَّلو يشهد الجمالَ ابتداعاً ليس شيءٌ يَنِمُّ عن نُقْصانه
ثم أغْضَى، وقد توسَّدَ كفَيْه، وأرْخَى للفكر مَدَّ عِنانه
لم يَنَمْ ليلَه، وإنْ ظنَّه الرّائي قريرَ الاجفانِ في اطمئنانه

❀ ❀ ❀

وَطَوَى الفجرُ ظلمةَ اللّيلِ وَهْنًا، وأشاعَ البهيجَ من ألْوانه
واستفاق الفنّانُ يَنْفي بكفّيْه بقايا الأضغاثِ من أوْسانه
ورأى الفجرَ لمحةً، من جمالٍ فوق ما لاحَ في مَدَى حسْبانه
فتحَنَّى، هناك يستقبل النور ويَغْنَى بالدُّفْءِ في احضانه
كم، على عتبة الوجود، تَمَنَّى أنْ تكون الأنوارُ مِلْءَ زَمانه

من وثائق الوحدة

بقلم محمد الفاضل بن عاشور

الرسائل الاربع المؤرخة

تندرج الرسائل الاربع ذات التاريخ ، بين 8 شوال 1253 وذى القعدة سنة 1255

على ان ثلاثا منها تتقارب ، فترجع الى سنة واحدة هى سنة 1255 : وواحدة فقط هى التى تقدمت الثلاث ، وانفصلت عنها بامد طويل ، فكانت راجعة الى سنة 1252

وتترتب الرسائل الاربع بتفصيل تواريخها على الصورة الاتية :

1) 8 شوال 1252
2) 15 صفر 1255
3) 26 ربيع الثانى 1255
4) غرة ذى القعدة 1255

1) رسالة شوال 1255

استهلت بالاعلام بوصول مكتوب ، مبشر بنصر عظيم ، حصل للمسلمين وهزيمة شنيعة ، حاقت باعدائهم . ثم وقع التعرض الى ما تضمنه المكتوب ، من ان العدو يرغب فى صلح ، والجواب عن ذلك بانه مكيدة ، ينبغى الحذر من الوقوع فيها ، اعتبارا بعبر التاريخ ، وخاصة احداث الادوار الاخيرة من التاريخ الاسلامى بالاندلس ، وتذكرا لما سبق ان وقع قريبا فى حروب الجزائر نفسها ؛ من الصلح الذى استهوى به العدو المسلمين ، وكاد ان يستولى به على من والاه . ولذلك فان السلطان لايشير على الامير بعقد الصلح ؛ لا سيما وقد تحقق ان امر العدو فى ضعف ، وان قوة الامير وهيبته فى زيادة . حتى انه اصبح مرهوبا مخوفا عند اعدائه . وان اظهارهم الرغبة فى الصلح انما هو لما داخلهم من الرعب ، ونزل بهم من الذل ، وخامرهم من الجزع والفزع . « فينبغى ان تسد دونهم الابواب ، وتقطع بهم الاسباب ، حتى يقنعوا من الغنيمة بالاياب » . ثم وقع التعرض الى ماعرضه العدو من التنازل عن مدينة تلمسان

---

* الفكر ــ السنة 5 ــ العدد 2

فى مقابلة الصلح المعروض ، وان ذلك لكون امز تلمسان قد ارهق العدو واعياه : لبعدها عن البحر ، وصعوبة تموينه بسبب ذلك ؛ بخلاف وهران • ولذلك يجدد النصيحة بالاعراض عن مطلب الصلح ، الذى هو علامة على ضعف العدو ، ضعفا يؤخذ الفال له من كون الواسطة فى تقديم هذا العرض ، يهودى اسمه « ابن درن » •

ويرى انه ان كان ولا بد من عقد الصلح فينبغى ان يكون عاما على جميع بلاد المسلمين فى الجزائر « لتكون سببا فى التنفيس عن اخوانك المسلمين ؛ وليعلم العدو الكافر ان اهل الاسلام ذات واحدة ، ونفس متحدة • يشد بعضهم بعضا • وفى ذلك من اظهار قوة المسلمين ، وتناصرهم ، وشدة اتصالهم ، مايغيض الكفار • »

وتختم الرسالة بتفويض النظر للامير بهذه الفقر الختامية :

« ومع هذا فقد يرى الشاهد ما لا يرى الغائب • فما رايت فيه الصلاح للمسلمين ارتكبه ، فانت بصيرة نفسك وبصيرة المسلمين • فانظر لهم بالنظر الذى ينجيك مع الله ومع عباده • ولاشك فى انك انما تاتى مافيه الخير ، وما تحمد عاقبته • وفقك الله واصلحك آمين • »

ويتضح جليا من تاريخ هذه الرسالة ، ومما ورد فيها من الاحداث والاسماء ، انها كتبت جوابا عن مكتوب وجه به الامير عبد القادر الى السلطان يبشره بالفوز الذى احرزه بعد فتح مدينة المدية ، فى المعركة الهائلة المعروفة بمعركة « المقطع » • وهى واقعة كان صداها عظيما جدا فى عامة البلاد الجزائرية ؛ حيث الحقت هزيمة شنعاء بالقوات الفرنسية (1) التى كانت تحت قيادة الجنرال تريزل • ورجع بعدها الامير لام عسكر ، فاسترجعها ، ودخلها فى مشهد ، من مشاهد النصر عظيم •

وكانت معركة المقطع فى صيف عام 1835 ، واستقرار الامير فى ام عسكر فى سبتمبر سنة 1835 (جمادى الثانية 1252) فيكون كتابه الموجه الى سلطان المغرب صدر فى رجب او شعبان 1252 وبلغ السلطان فى حدود شهر رمضان• ويكون صدوره ، لامحالة ، بعد ان وضعت الحرب اوزارها ، وابتدات بين الامير وبين الوالى الفرنسى على الجزائر ، الجنرال دروى ديرلون ، مخابرات لاقرار حالة الهدنة ، من جديد ، بين الطرفين • وكان الجنرال دروى ديرلون عظيم الرغبة فى اقرار السلم ، وكان الواسطة فى ابلاغ المراسلات ، الدائرة فى

(1) الاستقصاء ج 4 ص 193

ذلك الغرض بين الطرفين ، يهوذا ابن درن ، وهو يهودى من يهود الجزائر ، كان ابوه من اتباع عـائلة الامير عبد القادر ، وعاش هو فى فرنسا ، واتقن اللغة الفرنسية ؛ وكان الامير عبد القادر قد جعله نائبا عنه فى مدينة الجزائر ، وكيلا سياسيا لدى الـوالى الفرنسى ، منذ امضاء المعاهـدة الاولى : معاهدة ديشيل سنة 1249 – 1834

وبهذا يظهر ان ما اشار اليه المكتوب السلطانى ، من لزوم جعل الصلح عاما على جميع بلاد المسلمين ، هو امر منظور فيه الى عمالة قسنطينه ، التى كانت تقاوم الاحتلال الفرنسى تحت راية واليها الحاج احمد باى ، واستطاعت فرنسا ان تضيق عليها لما تهادنت فى الجهات الغربية مع الامير عبد القادر ٠ فاراد السلطان تنبيه الامير الى اخذ الحيطة من ذلك ، فى صورة ما اذا انعقدت هدنة جديدة ، وان كان رايه غير مائل الى قبول الهدنة اصلا ٠

رسالـة 15 صفـر 1255

هى اطول الرسائل ؛ واكثرها اعظاما لشان الامير عبد القادر ، وتنويها بفضلـه

وقد صدرت جوابا عن كتاب طويل ، عديد الاغراض ! شرح فيه الامير للسلطان حالة الحرب من جميع نواحيها : العسكرية ، والسياسية ، والمالية ٠

وقد افتتحت الرسالة بالتحلية الآتية : « محل ولدنا البار ، الساعى فى جلب المصالح والمسار ٠ الحميد السير والآثـار ، الراوى لاحاديث الجهـاد الحسان موصولة الاخبار ، المرابط المجاهد ، المحمود المواقف والمشاهد ، السيد عبد القادر بن محيى الدين ، جعلنا الله واياه من المهتدين ، ووفقنا لما يرضيه اجمعين ٠ »

ثم تناولت الجواب عن الاغراض على التر تيب الاتى :

1) ان ما اشتكى منه : من خداع العدو ، هو امر مشهور طبيعى عند اهل الكفر ، جاءت الآيات القرآنية بالتحذير منه ٠

2) استحسان امتناعه من التنازل عن طريق من الجزائر الى قسنطينة والحث على الثبات على موقف الامتناع

3) الابتهاج بانتشار الدعوة واتحاد الكلمة وتخليص الجباية

4) التسلية عما ورد فى الكتاب من الشكاية من قلة المال وفراغ الخزائن بالامل فى الله وصدق التوكيل عليه

5) الاطمئنان الى ما آل اليه امـر « ولد التجانى » والنعى عليه بما ساق اليه نفسه بمخالفته اشارة السلطان بالانتقال الى فاس ، وتنظير حاله بحال اخيه الثائر من قبله ، مع ان والدهما كان عظيم القدر فى العلـم والصلاح

6) تبرئة الشيخ « ابن الطيب » من التشيع لولد التجاني وبيان ان اقصى ما عمله من ذلك كونه بلغ الى السلطان مكتوب استشفاع وارد من قبله، وسعى فى الصلح بينه وبين الامير عبد القادر

7) تاكيد الثقة بالامير ، والاعلام بدوام الدعاء له بالعز والنصر وانه انتقل عند السلطان « عن مقام الولد البار ، الى مقام الاخوة فى الله التى يعقدها الابرار ٠ » والمحاشاة عن قبول الوشايات فيه

8) الاعتذار عن تحقيق الامنية فى حضور الجهاد ، بما كان يعانى من « مشاق اهل الفساد ٠ »

9) الاخبار بوصول الهدية المؤلفة مما اهداه العدو الى الامير وما اضافه هو الى ذلـك

10) الاحالة على الحديث الشفهى الذى جرى مع رئيس الوفد

11) توجيه ستة من الخيل الجياد اعانة على الجهاد ورغبة فى الاجر

12) طلب الدعاء « فى مواقف الخير ومشاهده ، وجعل الغائب عن الجهاد كشاهده »

وهذه الرسالة ، كما يتضح من نصها ، تتعلق بوفد سفارة ، ارسله الامير عبد القادر الى المولى عبد الرحمان ، وعلى راسه العلامة الشهير الشيخ محمد ابن عبدالله المشرفى من اهل ام عسكر ٠ وهو من اكابر العلماء ورجال الحديث فى البلاد الجزائرية ٠ وقد اثبت مترجموه انـه تردد على المغرب الاقصى فى سفارات عن الامير عبد القادر ، وكان ينال فيها حظوة عظيمة عند السلطان عبد الرحمان (فهرس الفهارس للاستاذ الكتانى ج 2 ص 96 ، واتحاف اعلام الناس للمولى ابن زيدان ج 5 ص 61)

واورد الجنرال آزان فى كتابه (ص 153) ذكر الوفد الذى ارسله الامير الى سلطان والكتاب الذى وجهه معه والهدية التى بعضها مما اهداه ملك فرنسا الى الامير

ويظهر من تاريخ هذه المراسلة ، ومن الاغراض التى دارت حولها ، انها كانت فى نهاية الفترة التى تقدم الكلام عليها فى الرسالة أ ، وهى فترة الهدنة المتقررة بمعاهدة طفنة ، (30 ماى 1837 ـ نوفمبر 1839) لان تاريخ الجـواب السلطانى ، 10 صفر 1255 ، يوافق 25 افريل سنة 1839

فيكون صدور الوفد والمكتوب فى اوائل سنة 1839 ٠ وذلك هو تاريخ اشتداد ازمة الخلاف بشان تطبيق معاهدة طفنة ، وافتضاح المخادعة التى كان يراد ترويجها ، للاستيلاء على الطريق الواصلة بين الجزائر وقسنطينة ٠ وذلك هو متعلق العنصر الثانى من الجواب السلطانى ٠ وتلك الحالة الحرجة هى التى

دعت الامير الى ان يتوجه الى السلطان ببسط الحالة من عموم نواحيها • فبين له توفر القوة الادبية ، وذلك هو متعلق العنصر الثالث من الجواب السلطاني؛ وبين له نقص القوة المالية ، وذلك هو متعلق العنصر الرابع •

اما العنصر الخامس ، فهو يرتبط بما كان بين الامير وبين شيخ الزاوية التجانية ببلدة عين ماضى • وذلك مـا تقدم بيان طرف منه فى التعليق على الرسالة أ

وكذلك العنصر السادس يرتبط بذلك الموضوع وينزل منه منزلة الذيل والتتمة

وبيان ما يتعلق به هذان العنصران : هو ان الابن الاصغر للشيخ احمد التجانى ، واسمه محمد الحبيب ، كان فى تلك الفترة مقيما فى زاوية والده ، ببلدة عين ماضى ، وكان اخوه الاكبر ، واسمه محمد ، قد قتل فى حركة ثورية هجم فيها على بلدة ام عسكر ، اواخر العهد التركى ، قبيل الهجمة الفرنسية سنة 1242 — 1827

ولما دخلت العلاقات ، بين الامير وبين الشيخ محمد الحبيب التجانى ، دور الفساد ، بسبب حادثة الابل سنة 1254 — 1838 ، وعزم الامير على مهاجمة عين ماضى ، كان بلغه ان لسلطان المغرب رايا فى هذه المسالة ، وان الشيخ العربى الوزانى ، حفيد مـولاى الطيب بن التهامى صاحب الزاوية المشهورة بوزان ، ربما كان عونـا لدى السلطان عـلى مناصرة ابن الشيخ التجانى • فجوابا عن ذلك بين السلطان رضاه على ما سلط على ابن الشيخ التجانى من طرف الامير عبد القادر ، وذكره بسابق حال اخيه المقتول فى الثورة فى العهد التركى • وبين ان غاية ما كان من السلطان : هو انـه اشار على ابن الشيخ التجانى ، مقاوم الامير عبد القادر ، « بالانتقال باهله وولده والانضواء لضريح والده — اى بحاضرة فاس — واتبـاع سبيل رشده » وان الشيخ العربى ابن الطيب لم يكن منه الا انـه اتى الى السلطان ساعيا فى الصلح بين الامير عبد القادر وبين الشيخ التجانى ، وبلغ كتابا من الشيخ التجانى الى السلطان ، فلم يكن من السلطان الا ان عاتبه على عدم امتثال التجانى لاشارته لما اشار عليه بالخروج من البلاد الجزائرية ، والاقامة بزاوية والده بفاس

وفى ذلك تبرئة للسلطان ، ولو كان سبب الاتصال بينه وبين الشيخ التجانى ، من امر لم يكن توقعه خاليا عن اصل ما

وكان ما اشتمل عليه المكتوب السلطانى من تنويه بمقام الشيخ احمد التجانى ، واجلال قدره ، احتراسا عما عسى ان يكون قد حصل من هضم لحقه لماذكر به ولداه من سوء ، ولا يخلو ذلك من توجيه لما اظهره من اهتمام بامر الشيخ محمد الحبيب التجانى قد يكون منتقدا من طرف الامير عبد القادر

وبهذا يتضح موقع العنصر السابع حيث يظهر انه دفع لما توقعه الامير واشار الى توقعه : من كلام اوعز به صدر السلطان عليه بسبب ما وقع بينه وبين ابن الشيخ التجانى ، وما عسى ان يكون قد علق به موقف السلطان من تلك القضية

اما ماورد فى العناصر الثلاثة الاخيرة ، فهو مرتبط بما اتصل بالمكتوب المجاب عنه : من ذيـول حالية ومقالية ، ترجـع الى رغبة الامير فى ان يظهر السلطان عملا يقتضى تاييده ونصره على اضداده • فانه قد كان يشعر بضرورة الاعانة التى تعطيه الصبغة الشرعية للامارة ؛ لا سيما لما نشأ الخلاف بينه وبين هيأة لها اعتبارها الدينى الواسع الانتشار فى الاقطار الجزائرية ، وهى هيأة الزاوية التجانية بعين ماضى

ولعل مما حمله الوفد ، من الحديث الشفهى رغبة فى زيارة السلطان اياه ، هى الرغبة التى يشير المكتوب السلطانى الى الاعتذار عن تحقيقها ، بما هو فيه من المشاغل ، الراجعة الى توطيد الامن وقمع الحركات التمردية ، التى بدا بعضها قبل تاريخ هذه الرسالة ، مثل ثـورة زاوية الشراردة ، وثـورة الودايا ، وبـدا بعضها الآخر بعد تـاريخ الرسالة مثل ثورة زمـور الشلح (الاستقصاء ج 4 ص 179 الى 195 واتحـاف اعلام النـاس ج 5 ص 25 الى 50) وسيأتى فى التعليق على الرسالة الموالية مايقوى هذا الاحتمال

وزيادة على ذلك يشير السلطان الى اعتبار الاعانة بالخيل قائمة مقـام حضوره ، ويصرح فى غضون ذلـك يكون الوفد قـد حمل حـديثا شفهيا لـم تتعرض الى تفصيله المكاتبة

ويذكر الجنرال آزان فى كتابه ان الـوفد كان محملا بوصايا سرية ، وانه كان مكلفا بان يطلب من السلطان اعلان تسمية الامير خليفة له فى البلاد الجزائرية ، وان يوجه اليه بقفطان ، يكون شعار الخلعة بالولاية

ويدعى آزان ايضا ان ذلك القفطان قد وجه بالفعل ولكننا لانجد ما يؤيد فى الكتب العربية المرجوع اليها فى هذا الصدد • فلعل الجنرال آزان قد اخذ ذلك عن الاخبار المـاثورة عند آل الامير عبد القـادر • فانه قد عـد ذلك من جملة مصادره وخصوصا ما كان تلقاه مشافهة عن الامير خالد حفيد الامير • وقد رايت انا فى دمشق عند عميد البيت ، الامير سعيد ، قفطانا من الجوخ يتبرك به ويذكر انه هدية المولى عبد الرحمان بن هشام الى الجد العظيم

والرسالة تشعر — على كل حال — بان المشاركة ، الواقعة من السلطان ، نحقق شيئا من التاييد المرغوب فيه •

(البقية فى اعدادنا المقبلة)

عيد الانسان

بقلم محمد الشعوني

قال البريء وجرحه متورم ... ودموعه في خده تتكلم
والقلب منه يذوب فى حسراته ... والصدر منه ، مجرح ، ومهدم
يا ظالما مهلا فانك سمتنى ... سوء الاذى ، ومررت بى تتهكم
انا لآدم فى الخليقة ننتمى ... فعلام تثخن فى الجراح وتكلم
هذى دمائى من جروحى قد جرت ... فى الارض ، تكتب ما فعلت وترسم
وغدا سينتقم الزمان ، ونلتقى ... ويداك عن ذنب أتيت تترجم

وأجابه من راقه أن يستبد ... دولا يراعى حرمة تتجسم
واشتد فى حمق ، يصول معربدا : ... انى هنا ألم لمن يتألم ؟
أو كلما أصفحت عنك شتمتنى ... ومضيت فى الدنيا تسب وتشتم
وأنا الذى قدرت فيك ضراعة ... ورفعت صوتك فى الحياة يدمدم
أولى بمثلك أن يسبح جاثيا ... باسمى ، فانى قد تركتك تنعم
ونشرت روح العدل والاحسان فى ... هذى الربوع ، أصونها وأنظم
المال لى ، ولمثلك العمل الذى ... يكفيك منه الخبز ، وهو مسمم
ولقد حلفت لئن أعدت تلوجعا ... لأعذبنك فابتعد يا مجرم

هذا لسان الاقوياء بعصرنا ... تنبيك عنه ضراوة وتهجم
وسيعلم الجبار أى نتيجة ... يلقى غدا فى سيره، وسيعلم

ومضى البرىء وقلبه ينزو دما ... والطرف يرنو شاكيا يسترحم
ويمد ـ من ألم ـ يديه الى السما ... والله بر بالضعاف وأرحم
ويقول ذياك الضعيف بحرقة ... يا رب ـ ما لى غير عونك يرحم
انى سكبت مدامعى ، وبذلت من ... ألم دمائى ، وانتهى منى الدم
وبقيت لولا الروح هيكل ميت ... والريح تعصف حوله وتجمجم
انى قرأت من (الوثيقة) آية ... مما أقر العالمون وأبرموا
وطويتها ، والحق يرقب ممهلا ... والظلم راس ، والتجبر أضخم
وظللت أسأل أدمعى فى حيرة ... لمتى وليل الظالمين مخيم
فبأى حق ، أم بأية حجة ... سلبوا الضعيف ، ومزقوه وأعدموا
هذى الوثائق أعلنوا فى صلبها ... ان ابن آدم ـ مطلقا ـ لا يظلم
ويعيش فى حرية كبرى ويبـ ... ـنى ما يريد ، ويستشار ، ويكرم

وسمعت العجوز يضحك من اعماق قلبه ويقول :

ـ ذوقك كذوقى ••• تماما ! أنا أكره أن تأتينى القهوة فى الفنجان••• أحبها وهى تفوح عطرا ••• فى ركوتها كى اعود فاصبها بيدى ، واتمتع بهذا المشهد اللذيذ مشركا اكثر حواسى ، لافمى فحسب !

وسكت انا فلم اعلق بشىء ، كما لم يفه الخادم بكلمة ••• فقد عرف انــه أخطا للمــرة العشرين ••• فى خــلال سنة واحدة ! وهو على كــل حال خــادم مهذب ••• لانه تربى فى بيت نسيب لنا ، عرف بالشدة وبالشراسة ، وقديما قيل : اذا ساءت اخلاق السيد حسنت اخلاق العبيد !

وتابع محدثى يقول :

ـ فى ذلك اليوم دعوت « وردة » وكانت المرأة الوحيدة التى تعمل فى المطبعة ، وقلت لها : انا جوعان ، وانت لاشك تعرفين كيف يقلى البيض !

وضحكت ورده ••• برغم انهــا كانت أرملة ، وأمــاً لسبعة أولاد صغــار ، وقالت : ولو يا شيخ ! ومن يربى هؤلاء الاولاد ، يا ترى ونحن فى بيوتنــــا خادمات وملكات فى وقت واحد ، لانساء وحسب ••• كسيدات هذا الزمان !

واعجبنى منها ردها الذكى • فاعطيتها ربع ليرة ، وقلت لها غدينى اذن •• من يديك ياوردة احسن بيض فى البلد !

وهكذا ذهبت وردة الى اقرب بقال ، فاشترت من عنده ـ سقيا لتلــك الايــام الهنيئة الرخيصة ـ جميع لوازم الغــذاء ، بما فيها الخبز والبنــادورى والبيض ، نعم خمس وعشرون بيضة وقليل من الزيت لقليها ، جميع ذلــك بثلاثة وعشرين قرشا لاغير !

وقلت لها وانا استعرض معلوماتى الطبية ، منذ ولــدت حتــى بلغت سن الخمسين :

ـ ياوردة ••• لو تفصلين البياض عن الصفار ••• فانى افضل المــح الاصفر ••• لسهولة هضمة !

وهكذا وضعت وردة فى المقلاة التى اتخذتها من اول وعاء نحاسى تيسر لها وضعت خمسة وعشرين محا ••• وبعض قطع من البنادورى ، متبلة ، بالملح والبهار • • • فما بلغ حجمها جميعا مقدار صحن الفول الذى تعودت ان التهمه يوماً بعد يوم ، فى المطعم المجاور !

لم يصل الشيخ سليم الكسروانى الى هذا الحد ، حتى غامت عيناه ، وتعكر فيهما ذلك البريق الاخاذ • فخيل الى ان الرجل عاد فاتخم من جديــــد ••• بذكرى ذلك الغداء المشؤوم ولكن لا ان الشيخ ••• يدفع « غازة » اختنـــق بها مجرى النفس ، كانها حصاة سدت انبوب الماء •

ومديده المعروقة الى جيب صدارة يلبسها تحت السترة ، فاستخرج منهــا علبة ••• تناول منها مقــدار حبة الحمص من مــادة بيضاء ، عرفت فيما بعــد انها بيكربونات الصودا •

ولما استعاد بعض هدوئه ، قال وهو يشرح كالمختنق :

ـ هذا ٠٠٠ من النتائج ! لم اهضم تلك « الوقعة » المشؤومة حتى الان !

وخيل الى ان الخادم قد شرق بدهشته ، حتى كاد هو الاخر يصاب بنوبة من سوء الهضم ٠ فهو من الاشخاص الشرهين الذين يفتكون بكل طعام فتكا لارحمة فيه ، حتى لانفسهم !

وتابع الشيخ سليم يقول ، بعد فترة :

ـ واصبت على الاثر بنوبة كبدية ٠٠٠ طرحتني فى الفراش اياما واسابيع! ولكنني لم اكن لاصدق ان كل ما اصابني ، وما اعانيه من الام ٠٠٠ كان بسبب تلك البيضات ٠٠٠ الخمس والعشرين !

لذلك كنت اصب اللعنات على وردة ٠٠٠ ومن باعها تلك البيضات الفاسدة كان من المحتم ان يكون غيرنا مسؤولا دائما عن اعمالنا وتصرفاتنا !

وحينما خرجت بدوري من الدهشة التى اثارها هذا الشيخ فى نفس الفتى الذى كنته ، شربت قهوتي باردة كما أوثرها ، بعد ان تنعمت بتنشق عبيرها وهي تتبخر فوق الفنجان الابيض كأنها لهاث وجه حبيب، او عطر زهرة عجيبة٠

ثم قلت للشيخ ، وانا اتحدى هذا الدهر الطويل الذى عاشه ، دون ان يعي من اسرار الحياة ما يجنبه المزالق والاخطار

ـ وكيف غامرت هذه المغامرة ٠٠٠ وانت الرجل الحكيم ٠٠٠ المجرب !

ـ اى حكيم واى مجرب ٠٠٠ حط بالخرج ! عشنا فى ظلام٠٠٠ مزدوج ؛ جهل امهاتنا ومعلمينا وجهل حكامنا وزعمائنا !

قال الشيخ سليم هذا ، ثم افرغ فى جوفه جرعة ثانية من البيكربونات ، لطرد تلك الغازات التى تكاد تخنقه ، وهي تطبق على صدره بضغط يفوق ضغط الجـــو ٠

ثم اقعى الرجل العجوز كما يفعل الاسد الجريح ، فخيل الى ان الشيخ قد فقد عقله ، من جديد ٠ ولكن لا ! انه يساعد تلك الغازات على ٠٠٠ مغادرة المضايق التى تتحصن فيها ! فقد علم لحسن الحظ ، بالاختيار ، ان هذه الغازات هى اخف ثقلا ٠٠٠ من سواها من الاشياء ٠٠٠ التى فى جوفه ٠ وما غربت شمس ذلك النهار للمرة الاخيرة ـ غروبا صحيحا ، وراء البحر ، بعد ان غابت مرارا خلف لجج الغيوم وابلات هذا العهن المنفوش العجيب ، حتى كنت قد عقدت مع « عجوز التلة » كما يلقبه اهل القرية ، امتن الروابط التى تبيحها له سنواته السبعون ، ويجيزها لى عمرى الذى لم يكن ليتجاوز التاسعة عشرة

ومنذ ذلك الحين اصبح الشيخ سليم صديقي ٠٠٠ بل رفيق كل يوم بل كان لـه ولبيضاته الخمس والعشرين اثر فى نفسى أعمق من ذلك وأبقى ٠ فقد علت بعده الى صحبة الشيوخ ، كما يميل لداتى الى معاشرة الشبان ٠ وزدت بذلك حلقة اخرى الى سلسلة المتاعب التى تعج بها الحياة : فقد صار على ان اودع فى كل عام ، واحيانا فى كل فصل ، صديقا من اولئك الاصدقاء الاوفيـــاء ٠

وكانت تعزيتي الوحيدة عند فقدهم الواحد بعد الآخر ، انني كنت الربيع الوحيد ٠٠٠ الذى يأنس بصحبة الشتاء فى بلادى بلاد الربيع الدائم ٠

ذكريات عامل

بقلم محمد بحر العلوم

رأفــة يالهاث مدمعى الموجور فى زحمة الشجون
رأفــة يا حطام احــلامى الكسلى
تقيها أنفاس قلبى الحزيــــن
ويــــذوب الحنيــــن

فوق جفن الصباح وارتعاش الانين
وصدى ناحل يجور من البـؤس
فيجثــو على شفــاه السنين

يمضغ الاهة المعذبة الاوتــار قــرى
ويقتات من رؤاهــا الدفين
وتلظت اشبــــاح ماض يتيــــم

تكظم الافــق بالاسى
وغدت تجرح السنــــا
بسهام من الفــؤاد الحزين
وتذكرت « فأسى » الشاحب الانفاس
فى صحــوة العمــل
اذ هوى فوق « صخرة »
فى بصيص من الأمــــل
يلفظ الروح فى يدى
وغـــــــدى
قد بـــدا صارخ الونــى
وخبت دفقــة المنــى
فى الفـؤاد المعــذب

"زون دورو"

قصة بقلم جواد صيداوي

منـــــذ ان امتهن حراسة مواقف السيارات ، لم يتعرف الى نهـج يجمع من الفضائل ما يجمعه نهج « المختار عطية » فهو اولا فى وسط العاصمة تماما اذ يمتد بموازاة شارع الحبيب بورقيبة مبتدئا من شارع رومة ومنتهيا بشارع محمد الخامس ، وهو ثانيا يجذب اصحاب السيارات الخاصة الذين يهربون من زحمة شارع بورقيبة ، ومن وقاحة الحراس فيه ، وهو أخيرا محاط على جانبيه بالبنايات الشاهقة التى تمنع تلاعب الريح ، وخاصة فى أيام الشتاء .

ومنذ ان امتهن هذه الحرفة لم يعرف الربح كما عرف ، فى هذا النهج المبارك، اذ يظهر ان قاصديه من ذوى اليسار وعندما يعن الجود على بال ذوى اليسار فهم لا يعرفون حدودا ، ثم ان مركز عمله من هذا الشارع الطويل جاء فى افضل بقعة منه ، فهو يمتد مسافة ثلاثين مترا أو يزيد بـين شارع باريس وشارع مارسيليا . لا يزاحمه مزاحم ، ولا يتعرض لمشكلة من المشكلات فهو يعرف كيف يتصرف بادب وكيف يشكر من يناوله العشرة مليمات او العشرين مليما بل هو يشكر ايضا من لايناوله الا التجاهل ويسكت دائما على الشتمية كانه يستحقها . لقد كان راضيا فى جميع أحواله وكل يوم يستعين بقريب له بضع ساعات من النهار ليتمكن من السهر ليلا . والليل هو سبيل الربح الوفير فى هذه المهنة الرائعة . فهناك دور السينما والمسارح والبارات والمقاهى فهو لايغيب عن نهجه الحبيب ليلة واحدة مهما كانت الظروف ، الشاشية على راسه يقاوم لونها الاحمر الفصول مقاومة ضارية وكان هذا اللون ، خوفا من تشتت قواه ، قد تجمع بقعا داكنة على اطراف الشاشية وانسحب من القسم الاعـلى للشمس تلونه كما تشاء . وجبته هى الاخر تقاوم ولكن على صعيد آخـر . فهى تتشبث بأطرافها المتمـردة تشبثا أحمق فلا حريـة فى الانطلاق أبـدا ، وفضائل الجبة لاتحصى وخاصة فى الليالى الباردة فتراها كل ليلة تبتدىء من اعلى الرقبة الى اسفل الركبتين تخفى داخلها عوالم من البؤس عجيبة . فـلا يبدو الا وجهه الاسمر الشاحب بعينيه الغائرتين وحاجبيه السميكين المتصلين وأنفه الدقيق المتطاول وفمه الصغير الذى يشبه فم طفل ، واذا نظرت فى مجموع

وجهه يظهر ذلك الامر كعلامة استفهام ضخمة تبدأ دائرتها الكبرى بالحاجبين وينتهي طرفها الاسفل بفمه الدقيق ، واذا بحثت عن نقطتها وجدتها عند أسفل ذقنه اثرا لضربة قديمة ٠

وجاء امسية يوم سبت مبكرا كعادته فى نهاية كل اسبوع ، لان حركة العمل فى تلك الامسيات تكون ناشطة جدا ٠ وبعد ان تقاسم ربح النهار مع قريبه انفرد بالعمل وقد تابط عصا قصيرة ربما لتعطيه بعض الهيبة او لتعينه على تسهيل الدخول والخروج للسيارات على جانبى النهج ٠

ولاحظ ان موجة البرد التى جاءت مبكرة هذا العام قد اشتدت وعنفت تلك الليلة فاخذ يشد جبته من حين لآخر لتلتصق بجسمه واخذت المليمات تتهاطل من اليمين ومن اليسار ، فيشعر لدى استقرارها فى جيبه ببعض الدفء ٠ ومع الساعة العاشرة توقفت الحركة او كادت وبقى فى النهج حوالى العشرين سيارة تقريبا ٠ لا شك ان اصحابها فى دور السينما ، فلا بد من الانتظار حتى منتصف الليل او اكثر قليلا ، لا باس بذلك ، فالليلة مباركة على ما يبدو ، ولكن هذا البرد اللعين لاتخف شدته بل هى تزداد مع تقدم الليل حتى باتت الجبة عاجزة تماما ٠ وأخذت نقاط المطر تتساقط بتثاقل ٠ لم يكن ينقص الا هذا ٠ ٠ وظنها غمامة عابرة فاذا الامر عين الجد فالنقاط تغزر وتسيل وسط النهج ، ولاول مرة انتبه ان الشرفات قليلة فوق نهجه وان هى وجدت تبدو ضيقة لاتكاد تمنع شيئا فلعن الشيطان فى سره حتى الطبيعة لاتتركه فى فرحته تلك الليلة ، وفكر بالعودة ، العودة الآن ٠ ٠ معاذ الله ٠ ايترك قرابة اربع مائة مليم مرمية فى النهج هكذا ؟٠٠ لا لن يرتكب هذه الحماقة ، وماذا فى الامر ، أيخاف من هذا المطر ؟ ٠ لا بد أن يجد زاوية تؤويه حتى ينتصف الليل واهتدى الى مدخل البنك الزراعى فاستند الى زاوية بابه العريض جامعا زوره فى جله ٠ كان المطر يعنف والبرد يشتد لذعا فالقى عصاه ارضها وتجمع فى الجبة وجلس القرفصاء وهو ينظر الى نقاط المطر تلمع عند مرورها حول المصباح الكهربائى وتظهر خيوطا متصلة ، واحس بحركة خلف الباب العريض ، انه الحارس يتحرك ليتأكد انه ايقظ ، وعاد الى وجومه خافضا بصره الى النهج يراقب اصطدام نقاط المطر بالارض ، وتذكر يوم افتتاح البنك الزراعى وكيف منعت السيارات من الوقوف نصف نهار كامل وعادت الى خياله صور الاحتفال وفطن الى انه يعيش فى بلد مستقل ، يعيش فيه بحرية بعد ايام الاحتلال السوداء التى كان يحرم فيها عليه وعلى امثاله النزول الى هذه الانهج ، وشعر بالعزة

وبشيء من الدفء تسرب معه الى اوصاله ٠ ماذا عليه لوا ستسلم للرقاد قليلا، فالوقت مازال طويلا ٠ لا لن يفعل ذلك بل سيقاوم النعاس حتى النهاية فربما انطلقت بعض السيارات خلال رقاده ، ولكن هذا المطر بات يزعجه حقا٠فالنقاط تصفع وجهــه بشــدة ٠

يالهذه اللقمة كم تكلفه من مشاق ٠ لماذا يحرم من الرقاد كل ليلة ، لو ان بعض اصحاب هذه السيارات تركه ياوى داخل سيارته ٠٠٠ لماذا لاينعــم بالدفء كما ينعم غيره ٠٠٠ قسمة الله فى خلقه لابد من الصبر وسياتى بعده الفرج باذن الله ٠ وتصور نفسه فى بيت صغير يضمه مع زوجة تحبه وتطيب له الطعام كل يوم ، وتاتيه بطفل صغير يسميه ٠ ٠ ٠ ماذا يسميه ؟ ٠ فربما اتته ببنت ، قاتل الله البنات ، انه لاينسى ان المرحومة امه ماتت وهى مهمومة لكثرة ما ولدت من بنات ولا يمكنه ان ينسى تعنيف ابيه لها على تلك « الجرائم» التى كانت ترتكبها احس بالنعاس يدب فى اوصاله من جديد وهو يقاوم بارادة لاتقهر ، لقد قرب انتصاف الليل فليتحمل قليلا ليتحمل قليلا وينتهى الامر ٠٠ وراى امه متكدسة بجسمها المترهل فى احدى زوايا البيت وحولها بناتها الست والجميع يصرخن مذعورات وراى اباه يحمل معولا كبيرا جدا يضرب به جدران البيت سابا شاتما بصوت مخيف ورأى البيت يتداعى ثـم يهوى بقـوة باعثا صوتا يشبه صوت الرعد ، فهب من نومه مذعورا وانتصب واقفا وقبل أن يتبين أنه كان فى حلم سمع صرير محرك سيارة فانطلق بـين سيارتين واقفتين ليدرك « الهارب » ويحصل « الزوز دورو » ، وفوجىء بسيارة الزبالة الضخمة قادمة باتجاه معاكس لخط السير فى النهج ، وعندها أحس بالصدمة ظن أنه ما زال يحلم ، وبانطراحه على الارض كان قد فقد كل وعى ٠

كبرياء

بقلم نور الدين صمود

دفءٌ لبسمتك الحنون أشاع في قلبي الهناء
وصدًى لضحكتك الحبيبة رنَّ في سمعي غناء
وإذا نظرتِ أتوه في عينيك ... في بحر الضِّياء
وتُفيق في قلبي عوالمُ ليس يعقبها انتهاء
وتَهلُّ أفراح منغمة ... ودنيا من صفاء
وتشع في قلبي الحياة ... فيغمر الكونَ الرُّواء
وتُشاد في دنيا خيالي جنة السِّحر المُضاء
وأعيش في فردوسك الوهمي ... في أبد اللقاء
واتوه في دنيا المشاعر والخيالات الوضاء
التيه فلسفة الخيال ... وعالم عبر الفضاء

❀ ❀ ❀

إن قيل : « ما في بيتكم ؟ عُرْسُ السعادة والرجاء ؟
ما للبلابل تسكب الالحان في قلب السماء ؟
ما للوجود يرف بالصلوات ؟ .. ما هذا الدعاء ؟
ماذا ترى في بيتكم قد رفَّ ؟ .. ما هذا السناء ؟ »
قلنا : « بها أمي تغنينا » ... فيا للكبرياء

"قادري"

قصة بقلم البشير المجدوب

كــان قد تعارفا منذ زمن بعيد • أتيا الى « الصادقية » في جملة من يرد عليها كل سنة من نجباء ابناء الآفاق • فجمعت بينهما ثم الفت مقاعد المدرسة ، رغم اختلاف في الطبع والمزاج • كان خليل منشرح الوجه ، دائم الحركة ، فكها ميالا الى الجدال والمعارضة لايمنعه وقار الاساتذة لاسيما المشايخ منهم من التعبير عن رأيه في حرية ومن ارسال نكته التي تجيء غالبا « على المضمار » وكانت حصة الفقه أحفل الحصص بنشاط الفيلسوف الصغير فما ان يتصدى للدرس بالدعابة والتجريح حتى يضج القسم طربا ، لايشذ الا نفر قليل من الحياديين منهم صديقه محمود • وكان محمود هذا يؤنب رفيقه لتعابثه بالسادة المشايخ ناسبا ذلك الى الاستخفاف بأمور الدين • وكان يلح عليه في الذهاب معه الى مسجد المدرسة لأداء الصلاة ، فيستجيب خليل مـرة ، ويتلكأ مرارا هازئا برفيقه ملقبا ايـاه « قاضي البصرة » لـمـا كان يلمحه عليه من الزماتـة والوقـار •

هكذا كان دأبهما ردحـا من الزمن الى ان فـرقتهما الشهادة الختاميـة وفصلت بينهما مذاهب الحياة •

ثم التقيا صدفة في مناظرة عالية • فكان اللقاء مفاجأة عذبة جددا فيها عهدا مغمورا وأويقـات لذيذة ، فتطارحا نـوادر « الصادقية » التي يرويهـا التلامذة جيلا عن جيل • ونجحا معـا في الكتابي ، وكـأن عليهما ان يركبا الطائرة الى باريس لاجتياز القسم الشفاهي من الامتحان •

تركا المدينة في ليلـة من ليالي رمضان البهيجة وكانت انفـاس الليل الاخيرة تؤذن بحلول الساعة التي يخلع فيها الناس أنس الافطار وبشاشته ليستقبلوا يوما آخر من الصيام • ترك الرفيقان المدينة وسارا في جد الشبان الناجح الطامح ، الى مطار العوينة • وكان محمود صامتا في لجة من الافكار التي تدور بخلد الشباب في المواقف الحاسمة • وكان خليل يتذوق سلفا لذة الوقيعـة برمضان • سيطبق حكما اسلاميـا هو مستكمل لشروطه وكـان مستحضرا الآية : « ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر ••» وذكر لرفيقه ملحة الجاحظ لـمـا اخبر بقرب رمضان قـال : « لأبددن شملـه بالاسفار » • وعجب للنزعة البشرية التواقة الى خرق القوانين ولو بتأويل •

اقلعت الطائرة وامعنت سيرا في مجاهل الفضاء وما هي الا برهة حتى أنبثق لألاء فجر جميل • فأخذت خليل نشوة اذ رأى نفسه سائرا وسط خضم

بديع من النور • وتداخله شعور خفى ••• مزيج من الصدف والدهش عندما فكر بأنه أوتى القدرة على طى الفضاء طيا فى منعة تامة • قد اتيح له أخيرا ان يعيش هذا الحلم العجيب الذى طالما تمناه وترقبه فى شغف وخشية • ومرت المضيفة وهى تجمع من الخصال احسن مافى الملائكة والبشر • عرضت عليه ـ مع ابتسامة ساحرة : ماعساه يشتهى • فطلب بعض المرطبات ونظر الى رفيقه ليفعل مثله فتعفف محمود وأجابه :

« بارك الله فيك ••• قسمى فى الجنة »

وضحك الرفيقان لان شأنهما الحرية المطلقة للافكار • وانهمك خليل فى التهام طعامه واستغرق محمود فى تأملاته فى الفضاء الفسيح •

مسح خليل فمه بعد ان شرب كوبا من الماء المثلج دفع به آخر لقمة • واشعل سيقارو • وطفقت افكاره تسرح الى غير غاية ثم بدأت تستقر قليلا • نفث الدخان وقال لنفسه :« انى اطبق حكما شرعيا لاشك فيه » ثم « لعل هذا الحكم مبنى على حجة التعب والارهاق وانا فى الحقيقة غير متعب ولامرهق » صغرت نفسه لديه وداخله شيء من الاكبار لرفيقه • نزلا بمرسليا وركبا القطار الى باريس ومحمود ممسك متلبس بتقشفه ، على وجهه صفرة الصيام وهيبة الايمان • وصلا الى باريس واخذا يعدان نفسيهما الاعداد الاخير لمواجهة الامتحان ، فاقبلا على عمل صارم منهك علما منهما بخطورة الموقف • وكان خليل يود لو يرجع عن هذه الرخصة فيجمع كرفيقه بين جهاد العلم وجهاد النفس • لكنه فضل الثبات بمافيه على التراجع ، ففى التراجع ذبذبة وضعف • واصبح مع ذلك يتجنب الاكل مجاملة امام رفيقه اذا أجتمع به نهارا • فرب شهوة عرضت له عنيفة ملحة فصدها من اجل صديقه • اما محمود فكان فى باريس هو نفسه بالخضراء • انها سفرته البكر الى هذه المدينة التى تنطوى على عوالم من السحر عجيبة • فكأن الارض لم تتبدل غير الارض او كأنه قد اتخذ باريس له مقاما منذ زمن بعيد • كان يهجر الطعام قانعا راضيا طول يومه الى ان يحل المساء • ويا له من مساء ! كل من اقام فى باريس صيفا يعرف مساءها المتثاقل المتراخى • فالشمس عندهم لاتتوسد الافق الا فى حدود التاسعة • فاذا توارت بالحجاب وخيم الظلام قصد محمود المطعم ورافقه خليل فى خجل • وكان خليل يجادله تارة بالحجة يذكر له الامتحان وما يتطلب من نشاط لايتفق وقلة التغذية ، وهما على سفر • ويراوده تارة فيحاول ان يستثير عطفه على نفسه التى يكلفها مالاتطيق وما هى فى حل منه • وما كان ذلك خلوا من الدفاع عن موقفه هو • لكن لم ينفع مع محمود منطق ولا عاطفة فجوابه :

« الفرض صعيب يا خليل »

فينصرف هذا حائرا ، يسترق طعامه استراقا وهو فى ريب من نفسه •

وفى يوم من الايام كانا يتجولان فى شوارع المـدينة مما يلى « كنيسة نوتردام » · فأصابا فى واجهة دكان اصنافا من تلك التحف التى تباع للسياح تذكرة ومتاعا · فتأملا لحظة فى محتويات الواجهة وكانت عارية يمكن تصفح كل ما فيها من صور واعلاق · واعجبا بسكين بديع من الفضة الخالصة غاية فى الظرافة · ثم دخلا الدكان يرتادان مافيه من تحف وطـرائف · فاكتفى خليل باشتراء سكين بسيط لقطع الورق ، فما كانت عدته من المـال حينئذ تسمح له بالتطاول الى أثمن من ذلك · واخرج محمود محفظة نقوده ـ وكانت مزدحمة بالاوراق المالية ودفع ثمن بعض صور اشتراها · وخرجا · وابتعدا عن الدكان متجهين صوب ضفة « السين » · وكان اليوم لطيف الهواء رائقا · كان خليل ينظر بشغف واهتمام الى ما فى الدكاكين من معروضات فاخرة ، ينظر الى المارة الى أناقة الحسان واهتزاز قدودهن الممشوقة وكأنه يـريد ان يملا ذهنه باكثر ما يمكن من الرؤى والانطباعات · واذا بصديقه يدخل يده فى جيبه ويخرج ···· ذلك السكين الظريف ، سكين الفضة الخالصة الذى وقفا عنده منذ قليل · ابتدره خليل سائلا :

« اشنو هذا ؟ »

ثم انكشفت له الحقيقة فجأة فتابع متلعثما : « خسارة عليك ··· هكه تعمـل ؟ ! »

فأجابه الصائم ببرودة متناهية كان لم يكن ثمة ما يدعو الى الاستغراب والدهش :

« آش كان عليه ! ماهو الا قاورى ! » ···

البشير المجدوب

تحية القيروان لأختها بغداد

بقلم محمد مزهود

أى امرىء لم يثره ذكر بغداد … ولم يشقه حديث الجسر والوادى
دار السلام مجلى العز دارتها … عز المفاخر للاسلام والضاد
وكعبة الشرق لم تبرح مقدسة … من حاضر فى نواحى الارض أو بادى
فمبعث السحر والالهام دجلتها … والمنهل العذب يشفى غلة الصادى
ومسرح الغيد والآرام جنتها … كما يحدث عنها كل مرتاد
بغداد أنشودة الاجيال ما برحت … على المدى حلم رواد وقصاد
أصغت لها أذن الجوزا ورددها … فم الزمان مشيدا اى ترداد
مجد الحضارة ماضيها وحاضرها … لم يبلها مر أعصار وآباد
حيث العروبة خفاق لها علم … وحيث صرح العلى والمشعل الهادى
وللبطولة فى تاريخها خبر … يضفى على العرب أمجادا لامجاد
حيث الرشيد تحدى السحب وانطلقت … كتائب الغزو فى الدنيا كاساد
حيث الرصافة تنبى عن رواتعها … وعن عيون المهى فى عطفة الوادى
حيث المشاعر رقت والهوى هزج … يهوى اليه فؤادى رغم أبعاد
الشعر أينع فى جناتها وزها … والانس أنبت فيها كل غراد
ترعرع الفكر فى أحضانها ونما … وطاب للعلم فيها ورد وراد
فأزلفت لبنى الدنيا فرائدها … وازينت بجلاها كل أجياد
وصافحتها يد العلياء مكبرة … وجرر العز فيها فضل أبراد
لاغرو ان الهمت شعرى بدائعه . … وأن تغزل فيها اليوم انشادى
أوحت الى بيانى فانتشيت وقد … اهديتها باقة من بعض اورادى
تحية من هزار القيروان لها … وبنفحة خطرت من صيدح شادى
القيروان حبت دار السلام بها … والقيروان قديماً أخت بغداد
كلتاهما فى سجل الدهر خالدة … كلتاهما معقل الاسلام والضاد
هناك شاد بنو العباس مجدهم … وها هنا شاد صرح المجد أجدادى
هناك زان ابن هانيها مواكبها … وها هنا ابن رشيق زينة النادى
صنوان فى دوحة العلياء ضمهما … عهد فكان وفيا ، طبق ميعاد

∴

بغداد يا بهجة الدنيا وزينتها … ويا عروس الأمانى منذ آماد
ومنشأ الصيد والاقيال من مضر … ومجد ديوان بشار وحماد
قد هاجنى الشوق للزورا ولا عجب … فثم بعض أخلائى وأعضادى
هذى الاحبة القاهم على قدر … لقيا الاحبة عندى خير أعيادى

تقنين وتجديد

بقلم البشير الزريبي

- 2 -

انتهينا في عرضنا السابق الى ضرورة الاخذ بكل من النقد النظرى والبحث التجريبى فى محاولاتنا الاصلاحية او الانشائية التى نستهدف بها مسايرة ظروفنا التاريخية القاضية بتوليد القوى مما هو موجود والداعية فى نفس الوقت الى ان نعمل على خلق اجواء جديدة للطاقة الانسانية مواتية كل المواتاة لاهدافنا ومثلنا العليا التى تخيرناها لانفسنا كامة ذات ارادة ومطامح

بقى لنا الآن ان نشير بازاء كل ما نقدم الى ان البناء الفلسفى لمعطيات الجدل النقدى للدستور التربوى او للموقف التربوى ينبغى ان لانضع وضعا نهائيا اذا كنا نؤمن بقيام منطق حديث الى جانب منطق ارسطو : ذلك لان التجربة فى مثل هذا الميدان هى محك الافتراضات والاجتهاد ، فهى التى تبين لنا عمليا مدى صدقه او تخلفه فى كل من مواقف التشخيص والتبؤ — ولعل هذا الاعتبار نفسه هو الذى حدا بالمؤرخ التربوى الشهير **بول منرو** الى ان ينعت المذهب الطبيعى فى التربية بالسلبية المطلقة نظرا الى ان اراء رسو كانت فى معظمها هدمية الهدف بما جعل الحركات التربوية الموالية لها وبالخصوص **الحركة النفسية** تتمخض بجهودها وتيمم وجهتها شطر تشكيل مبادىء المدرسة الطبيعية تشكيلا ماديا واقعيا — وفعلا فان النزعة **البسيكولوجية** فى التربية تلك التى دعا لقيامها او قام بها فعلا طائفة من المربين فى طليعتهم هاربرت وبستالوتزى وفروبل واضرابهم كانت معدة كحركة راديكالية تقدمية او ان شئنا حركة تقدم اصلاحى سارت فى طريق الاصلاح شوطا ابعد منآراء ومبادىء **روسو** نفسه —

ففى هذا النقد الوجيه العظة التى يجدر بنا الاتعاظ بها والاسراع كل الاسراع لايجاد الظروف المناسبة لقيام مخابر للتربية التجريبية تساير او تتبع معطيات التوجيه التربوى الحديث بكل امتحان وتمحيص واقعيين لنكون بحق سائرين فى مهيع واضح المعالم مأمون النتائج وحتى نستبق الزمن بتوفير ما يمكن توفيره من امكانيات الاعداد فنأمن بذلك مؤاخذة الاجيال الصاعدة وانتقاصهم لخططنا الانشائية فى هذا الميدان الشائك ٠

على اننا اذا كنا نؤكد او نتحزب الى فكرة الاخـذ بمعطيات التجريب والاقيسة المقننة على طبيعة الذكاء التونسى فاننا بازاء هذا المبدا الاولى فى هذا الصدد نعترف اعترافا صريحا بانعدام الفنيين التونسيين الاكفاء فى مضمار كل من التربية التجريبية والمقاييس العقلية القادرين على اقامة المخبر التونسى فى معاهد التربية المفتقرة الى هذا المرفق الحيوى لرسالتها ، والقادرين على ايجاد المقياس العقلى التونسى على غـرار ما فعل **الفريد بينى وسيمون** عند مطلع هذا القرن لما عهدت اليهما وزارة المعارف الفرنسية بمهمة السعى لتنظيم التعليم بفرنسا آنذاك تنظيما يكون به القضاء على تخلفه وتدهوره الملحوظ فى تلك الظروف الزمنية من تاريخ فرنسا • ولكننا مع هذا الواقع المر نقر بان الاستنجاد فى هذا الميدان باهل الخبرة من ذوى الاختصاص فى البلاد الاجنبية لايجدى فتيلا ولايتأتى فنيا بـل المشكلة ستظل قائمة الى ان يتأهل لحلهـا التونسيون انفسهم من ذوى المقدرات الفطرية والمكتسبة وهذا طبعا يستلزم الوقت والجهد وفى نفس الوقت يستدعى كذلك استبصار المسؤولين عن التـوجيه باهمية هذه الناحية المشار اليها وبالتالى انصرافهم الى اخذ الحيطة واعداد العدة للتغلب على هذا النقص وفقا لخطة معينة يتم تصميمها بعد درس حصيف للمشكل القائـم •

هذا وللموقف التربـوى التونسى حدود غير التى يتبادر اليهـا ذهن القارىء اذ ليست التربية وقفا على المدرسة والمدرسين ولا هى بمنحصره فى ميدان التعليم بل هى اوسع مدى وارحب مجالا من هذه الآفاق لاننا نـرى المعاهد التعليمية ان هى اهلت بناشئة اصبحت اليها تنتسب فاننا فى الواقع نرى فى تلك الشبيبة المدرسية فائض الاسر والعائلات من انفار اثر فيهـم المحيط العائلى وهم لايزالون يتأثـرون به كعامل من عوامـل التربيـة التى لايستطيع احد نكران اثره على حاضرهم ومستقبلهم على حد سواء •

واذا ما صح هذا المعنى تكون مهمة الاعداد او التنشئة ليست بملقاة على كاهل المعلم وحسب بل هى الى جـانب مسؤوليات هذا الاخير بازائها يلقى جانب لا بأس به من تلك المهمة على عاتق اولياء العائلات وبذلك جاء القـول بضرورة قيام تعاون مثمر بين كل من الاسرة والمدرسة حتى لاتتعارض الجهود ولا تتلاعن •

ويتبع هذا الاتجاه الوجيه اتساع آفـاق العمل التربوى وامتداده بما يجعل تبعات ذوى الفكر المربى اكثر جسامة واعظم ثقلا ذلك لان نظرهم بعد

ان كان محدودا بحدود المعهد الدراسي تحولت مهمتهم التربوية فاصبحت مزدوجة الاتجاه جانب منها يخص النشاط المدرسي والآخر يلحق الموقف العائلي من المربي المشترك ٠

وعلى التحديد اننا نعني بمهمة رجالات التربية ومسؤولياتهم بازاء الوسط العائلي للطفل لامجرد الاتصال باولياء الاسرة لضبط خطط التوجيه والتعاون في مضمار العناية بنمو الطفل وبشخصيته الفتية وانما الاهم من ذلك ان يمضي هؤلاء الى معالجة المشكل من الاساس ٠ فمما هو بديهي ان هذه العائلة وما قد يحيط من ظروف مواتية او غير مواتية لشرائط الاعداد السليم لفي شديد التطلع الى من ياخذ بيدها ويعمل فيها العقل نقدا وتمحيصا او بلغة اخرى هي في مسيس الحاجة الى ان تصبح موضوعا للدرس والنقد البناء حتى تصبح في ظل ذلك قادرة على القيام برسالتها على الوجه المجدي والاكمل ٠

هذا ومع استصوابنا لنقد الموقف التربوي للعائلة التونسية على نطاق عام وبوسائل امينة النتائج يجدر بنا الالماح الى اننا بهذا الصنيع سوف نحقق هدفا يتمثل في مراجعة الماضي بدراسته وتسليط الاضواء على جوانبه المظلمة بالتالي ٠

وانه ليعنينا من فكرة النقد هذه ان يتم تتبع مخلفات الامس ومعاييره وقيمة الدراسة المتمثلة فيما تواتر الاخذ به من امثال عامية وحكم دارجة ما تزال حية بين اوساطنا يتوارثها الاجيال جيلا بعد جيل في شيء من التقديس والاجلال دونما اي وعي ، ودونما اي تبصر يذكر بقيمة محتواها ولابصحة جدواها ٠

اننا لو اتجهنا في هذا السبيل لحصلنا على فوائدجمة اولاها حملنا لبعض المستنيرين بمثل هذه الدراسات التربوية عن طريق اذاعي او صحفي على ان يقلعوا عن الاخذ بتوجيه حكمة عامية او مثل عامي وبيء ثبت لهم من خلال نقد المختصين له افلاسه في شتى النواحي وضعفه في عديد الاعتبارات - وثانيها ما قد ينجم عن تلك المراجعة والتصفية من تهيئة الفرصة واتم الفرصة لاشادة مستقبل واع بقيم الحياة الراقية وشرائطها الضرورية ، شاعر بما يجب الشعور به من اتجاهات عقلية او اجتماعية عرفت بها امته التي اليها ينتسب ولها يعمل ، لا امعة في محاكاته للماضي ومخلفاته ليس له من تلقائية التعبير والنزوع ما قد يؤهله لتفهم قيم المحتد على الوجه الرشيد وما يتيح له امكانية الاختيار بين الاهداف الممكنة والمناشط المتاحة ٠

انه لمحصول فكـرى عجيب هذا التـراث العقلى المتمثل فى المتواتر من الامثال الدارجة بين اوساطنا ، وليس فى التغالى عن درسه وامعان النظر فيه الا مهاترة او مكابرة ذلك لان مثل هذه الرسوم الدارسة لتجارب اسلافنا هى فى واقع حياتنا تمثل دستورا تربويا يستند اليه الموقف التربوى فى تونس او ان شئنا قلنا انها فى عداد العوامل التى تؤثر تأثيرا محسوسا على حياتنا العائلية والاجتماعية نظرا الى تأثر كل من الافـراد والجماعـات بمافيهم تلك المثل والحكم فى تصرفاتهم الخاصة والعامة ـ وبهذا التحليل تصبح امثالنا الدارجة التى فى ظـل معطياتهـا ننشأ ونشب معتبرة فى قليـل او كثير انماطـا او معاييرا للسلوك الشخصى والاجتماعى ، وبالتالى فهى كما يراها البعض مجرد مأثورات للادب الشعبى القـديم بقدر ما هى على اعتبار وجيه محك للبـوادر والمواقف وموازين تقديرية يحتكم اليها وبها فى كل من محيطى الاسرة العائلية الخاصة والاسرة الاجتماعية العامة ـ ومن هنا كان لها كبير الايحاء على الموقف التربوى اذ نراها تسهم بقدر غير يسير من التأثير فى عملية التنشئة الاجتماعية وفى تشكيـل عقلية المواطن وفى طبع شخصيته على النحو الذى هو عليـه من توازن أو عدمه

وإذا مانحن انتهينا بالتراث الفكرى للعقلية البدائية الى ما انتهينا به اليه من خطورة التأثير على حيـاة الجيل الصاعد فانه لجدير بنا ان نتشكك فى سداده تشككا منهجيا فنحرش به ذوى الفكر النقدى ليمعنوا فيه العقل ويقلبوا فيه الرأى عساهم يمركزوا نفوذ الاثار التقليدية المماشية لـروح العصر وأنظمته التربوية الناضجة ويمحقوا فى نفس الوقت ما تراءى لهم فيه الخطل والخسران من تلك المخلفات التى لا نشك فى القيمة الذهبية لبعض أجـزاء منها كمـا لا نتـردد فى الحكـم على بعضهـا الآخر بأنه سرطان فى اعقابه التدهور النفسى والاجتماعى أو العصاب بشتى أشكاله

الهي المتجسد

بقلم عبد الرحمن اللموشي

بحق من بهذا الجمال حلاك

ما كنت احسب ..

انى قبل اليوم .. ارعاك

والاغرب ..

كان ذاك قبل ان تخلقى

قبل ان تكونى

فى معبد الجمال المطلق

نورا به تحيا عيونى

ويقينا يجتاح ظنونى

***

قسمات وجهك هذا الصبوح الوضى

تقول : شيء ... اى شيء

لعله : من أنت ؟ وكيف رعيتنى ؟

اسعدت بما فعلت ؟ أم كنت الشقى ؟ .

وهذا بعض ما كنت اتقى ..

لأنى آستحى

أن أروى لك قصة الوجود فى قصتى

***

أنا راهب هناك بأعلى الجبال

بنيت صومعتى

حتى لا تأوى اليها الظلال

وكان الهى هناك الجمال

أرعاه في الافق الخجول عند المغيب
كوجهك ٠ ٠ اذا يشتد بك الوجيب
وأرقبه حتى يعود مع الفجر الحبيب
كوجهك ٠ ٠ اذا تلفع بالشحوب ٠
في رحلتي هذى ٠ ٠ تهديني دربي النجوم
استشف الرؤى
سادرا في وجـوم
من بين سجوف الظلام
في يقظتي او في منامي
كنت أرى
هذا الجمال الهي في كل الدنا
في وسع الوجود ٠ ٠ حتى المنتهى
لا أهاب ان مشيت على الاشواك
أرعـاه ٠ ٠ ارقبه على تفرقه
حتى اذا تجمع في ملاك
وكنتـه ٠
اقسمت اني كنت ارعاك
دهشت ! ٠ ٠ وقلت الذى قلته ٠ ٠
هـذه قصتي ٠
والصدق الذى لايملكون بعض حقيقتي ٠

***

ايـه اليك فينوس سيدتي
كل الذى املك ٠ ٠ فكري وروحي ٠
وهذا وفـائي
يجلـوه بـوحي
قربانا ٠ ٠ وذكرى لهذا اللقاء ٠

اذكريني كلما الطرف منك غفـا
ترى يبابا صيرته حقلا فنا
نظرة تشيع فى الميت الحيـا
لما مازجت زرقة عينيك نحولى واصفرارى
شعشع حقل حياتى بعد الجدب باخضرار
وتفتحت عن اريج الحب ازهارى
فتحرك فى الركن المعنكب عودى
وراقصت اوتاره على لحن الهوى اوتارى ٠
وشعرت ـ كما ستشعرين ـ بوجودى
فجمعت فى نشوة الادراك أبعادى
وفككت الغل عن قلبى الخضيب
فصاحت الحنايا تطلبه تنادى ٠ ٠
لكن لا تجيبى
لا تـردى
محبى لك أبدى ان تصدى
لا تـردى
لا تجيبى
فأنا اهواك فى تعذيبى
سيموت حبى
وتذوى زهورى ونبتى
ويعود للغـل قلبى
٠ ٠ وعودى للركن الكئيب
ان اجبت
نعـم يا حبيبى ٠

دخان من قلبي

بقلم الطاهر وطار

اى رسام بارع يستطيع بريشته ان يصلح من خطوط الواقع ؟ ·· او ان يضيف اليه الوانا تغير من منظره · · ·

وأى بحور الاحلام والخيال لا شواطىء لها ·· حتى لاترسو سفننا فى ميناء الـواقع ···

انا مغلل تحيط بى قضبان الواقع ··

مسكين انـا ··

هيمان متشبث بخيوط الاوهام والغيب ··

اتغنى بأناشيد الحرية والانطلاق ··

ولاحرية ولا انطلاق ·· مادمت مرتبطا بالواقع ·· دون ان أجزم انـه الـواقـع ··

ومـاذا جعلـه واقعـا ·؟

هل يمكن ان لايكون هذا هو الواقـع ·؟ لست ادرى ·· ان كـل شيء اوهـام ·!·

طوى دفتر مذكراتـه ·· ومسكه بكلتا يديه ·· ودمعتان غريبتان ·· تدبان فى خديه دبيب تائه · · فى بيداء قاحلة · · لايستطيع الاستسلام الى الموت ··· ولا مواصلة دبيبه ·· ثم اشعل سيجارة وحـاول ان يستمر فى الكتابة بعد ان فتح الدفتر من جديد ·· لكن ريق قلمه جف فابى المسير ·· ووقف كالمشدوه يتأمل الحروف التى خطها ·· وكأنها غريبة عنه ·· لم يرها ولم يمر عليها بعد ·· فناجاه : « تحرك ياقلمى ولاتسكن ·· فان الدماء التى تنزف منك لاتنضب لانها دمائى انا · · ومن كبدى · · وبدون جـدوى · · يناجيه ·· فالواقع فرض عليه الا يسير ·· والا يتحرك ·· فراح يعيد قراءة ماكتبه بعد ان قلب عدة اوراق الى الوراء :

ــ حام حولى ورفرف طائر الحب · · فاستمعت الى نشيده الساحر · · دون أية مقاومة منى او نفور ·· ــ بل ــ لقد فرحت بمقدمه ·· وتغنيت معه وشدوت ····

غاب عنى الطائر وبعدت الحانه عن اذنى ·· لكن بقيت تنبعث من قلبى··

هي بريئة ٠ ٠ وانا ايضا برىء ٠ ٠ ٠

لكن سواد عينيها ٠٠٠

لولاه لما اندفعت اتتبع خطاها كل يوم من المكتب ٠٠٠ الى النهج الذى تقطن فيه ٠٠ من بعيد لكى لاترانى ٠٠ او تشعر بوجودى ٠٠٠ وعن كثب لئلا تنفـر ٠٠٠

كانت هى تنهمك فى الحديث مع زميلاتها ٠٠ وكنت انا انهمك ٠٠ فى عبادة سواد عينيها ٠٠

ومرت أيام وأنا كذلك اسبح فى السعادة الى ان احسست بصراع فى نفسى ٠٠ وتضاءلت امام ضميرى ٠٠ وشعرت بالنقص ٠٠

لقد بدا رسم الواقع وترآى ٠ ٠ يتجسم من خلال السعادة ٠ ٠ واذا بى اشتم رائحة الشقاء ٠٠ فانطويت ٠٠ فى بيتى أطـارد الحـان الطائر الغائب المتوارى ٠٠ لكن عبثا احاول لقد تبينت انها ممزوجة بالحـان جديدة لم افهم منهـا ٠٠ الا :

الحب بحر لن تعبره الا سفينة الواقع !٠

فكان على ان احطم سفينة الخيال والاوهام ٠٠ وان امتطى سفينة الواقع ! والا حطمتنى الامواج وبددتنى ، فلم اعد افكر فى تتبعها ٠٠ ـ بل ـ فى خطة اجـدر ٠٠٠

ان صديقى « حبيب » المصور وزميلى فى المسكن ٠٠ ابرع ربان يستطيع ان يقود بى سفينة الواقع ٠٠ لانه لايضيع صغيرة ولا كبيرة من بنات تونس ٠٠ الا احصاها ٠٠ فلماذا لا استنجد به ٠٠ وانا المهدد ٠٠ صحت وارتميت عليه ٠٠

ـ انها هى ٠٠ أجـل هى ٠٠ يـا اخى الحبيب ، اذن انت تعرفهـا ٠؟ مـا اسمهـا ٠٠؟

نظر الى حبيب ٠٠ وانا احتضن صورتها بعد ان وجدتها بين الصور التى فى حقيبته ٠٠ فقال :

ـ هل كلمتها ؟٠ هل اقتربت منها ٠؟

فاجبته وعيناى معلقتان بعينيها فى الصورة :

ـ لا ! لا ! ، ان القصة لاتتجاوز مـاذكرت لك الا بانى لا استطيع ٠٠ التخلص من هذا الشعور ٠٠ الجارف ٠٠ انى سأغرق فى الموج يا ٠٠٠

فقاطعنى والحيرة تبدو عليه :

ـ انت يا فاتح ٠؟ لقد عهدتك ٠٠

ـ ذلك هو السر ٠٠ انا نفسي لا ادرى ٠٠ الخلاصة انى غريق استغيث واستنجد ٠٠ بربك ما اسمها ؟

ـ زهيدة ٠٠

ـ زهيدة ٠ ٠ زهيدة ٠ ٠ سأسميها « زى » وكفانى اسما ٠ ٠ فانى اخشى٠٠ان اقول « زاهدة » لاقدر الله٠٠من الآن فصاعداسيكون اسمها زى٠٠

ـ اسمع يا فاتح ٠٠ اكتب لها رسالة ٠٠ صب فيها كل فنك ٠٠ ثم ٠٠

ـ آه ٠٠ الفن لقد احسست به يتوارى عنى ٠٠ لانه يتصادم مع الواقع لم اعد فنانا منذ اخذت فى تحطيم سفينة الخيال والاوهام ٠٠ ان الفن مجرد او هام لسد فراغ يحس به الانسان ٠٠

ـ فاتح دعنى اتمم حديثى٠٠ الم اقل لك انك فنان٠٠ دون ان تدرى٠٠ اذكر لها مهنتك واطلب منها ان تعطيك بعض كتاباتها ٠٠

انهى حبيب كلامه قـائلا :

يجب ان يصل اليها جوابك غدا ٠ ٠ ثم اعطانى عنوانها وخرج ٠ ٠ ٠

فشعرت بالامواج تتلاشى ٠٠ وسفينة الواقع تتهادى بى ٠٠ ونسيم الراحة والاطمئنان ٠٠ يداعب قلبى ٠٠ بعد ان القيت بالجـواب فى صندوق البـريد ٠٠

لقد احسست بالسفينة تقترب من الشاطىء ٠٠ وبالشاطىء يقترب من سفينتى ٠٠٠ وبنفسى نشيطا ابحث عن عمل اسدبه فراغ وقتى ٠٠ وصرت لا أومـن بالاوهـام ٠ ٠ وأهـزأ بماضى ٠ ٠ وبمن يتشبث بالاوهـام ٠ ٠ ومتعطشا الى لمس شىء ٠ ٠ بيدى ٠ ٠ لا بلا وعيى ٠ ٠ ولاشعورى ٠ ٠

زارنى النوم تلك الليلة واستسلمت له ٠٠ كما كنت استسلم للهواجس والاحلام ٠٠ معللا ذلك بانه الفن ٠٠ وبينا كنت نائما اذا بى امام رجل كبير السن كثيف اللحية يبدو عليه الوقار والجلال ٠٠ يسألنى :

ـ هل تريد جناحين تطير بهما ٠٠ ام فأسا تحفر بها الارض ٠٠ اجبته على الفور ومن غير فهم لما يقصد

ـ انى لا أومن بغير الارض ٠٠ لانى المسها واسير عليها ٠٠٠ وانى مهما سبحت فى الفضاء سأكل واعود الى الارض ٠٠

فقهقه الرجل وطار فى السماء قائلا :

ـ انك محاط بأسلاك الواقع ٠٠

استيقظت أتساءل ٠٠ ماهو الواقع ٠؟ ومن صنعه ٠؟ ولماذا يعوقنا عما

نلمس ٠٠ ويدفعنا الى نتائـج نقتطفها من الغيب ٠؟ يعوقنا عن وطء الارض ويدفعنا لاحتضان الفضاء ٠٠

ان هذا الا واقع مزيف

وانتظرت حبيبا كثيرا ٠٠ جدا ٠٠ حتى نفذ صبرى ٠٠ لكن هل الواقع هو الذى يجعلنى انتظر ٠٠ ام هى الاوهام ٠٠ لقد تشابها على ٠٠ ولم اعـد افـرق بينهما ٠٠

أنا انتظر فقط ٠٠

الساعة الآن الثانية مساء ٠٠ وانا ما زلت متمسكا بالصبر ٠٠ كـلا ٠٠ بالعجز ٠٠ انى تشككت ايضا حتى فى الصبر ٠٠ فلو كنت قادرا على العثور على حبيب لذهبت اليه ٠٠ لكن سأتوهـم الصبر ٠٠ او سيحتم على الواقـع الصبر ٠٠ مثل الآلاف المعذبة ٠٠ يعضهم الطوى ٠٠ والظلم ٠٠ وهم يستمعون الى وعاظ يشرحون لهم مزايا الصبر ٠٠ لكى يصبروا على ما لديهم

مدت زهيدة ٠ ٠ كلا « زى » يدها الى حقيبة حبيب لتنظر فى الصور التى فيها كعادتها كلما زارهم ٠٠ فابدى حبيب حرصه على الذهاب ٠٠ لان لديـه اشغالا كثيرة ٠٠ ومواعيد مرتبط بها ٠٠ لكنها الحت والحت ٠٠ فما عليه الا ان يمتثل ٠٠ جلب اثناهما صورة شاب ٠٠ فسالته كعادتها ٠٠:

ـ من هذا يا حبيب يبدو انه ممثل او مطرب ؟ ٠

فقال لها

ـ كـلا انـه شاعـر

ـ من هو ، انه صغير ٠؟٠

فأجابهـا :

لكنه فنأن يازهيدة ٠ ٠ انه شاعر رقيق ٠ ٠ من اعز اصدقائى

ـ قل لى ما اسمه ؟

ـ اخشى عليه منك ٠٠

ابتسمت « زى » قـائلة :

ـ دائما تمزح ياحبيب

ـ انه صديقى فاتح ٠٠

بذلت « زى » كل ما فى وسعها لتخفى دهشتها ٠٠ ثم اعادت الصور كلها الى الحقيبة الا صورتى انا ٠٠ لقد اخفتها عنى ـ كما قال حبيب ـ ثم ودعته

ان السفينة تقترب من الشاطىء ٠٠ صورتي الآن عندهـا وصورتهـا عندى ٠٠ أهذا واقع ام احلام ٠؟ ابهذه السرعة ٠؟

ان السعادة تداعبنى وأداعبهـا ٠٠ فلقد كنت اتجنب ان ترانى ـ ثم اصبحت اسعى فى لقائها ، ما اكثر وجوه الواقع ٠٠ انا لا أومن بهذا الواقع المتناقض ابدا ـ٠ لكن الالحان تنبعث من قلبى :

الحب بحر لن تعبره الا سفينة الواقع ، الحان تبعث فى نفسى العزيمة والتضحية والايمان لكنهـا تجعلنى فى صراع نفسانى ٠٠ ابحث عن حقيقـة الواقع ٠٠ وعن اصوله ٠٠ فلا اجد الا الغموض والابهام ٠٠ لايمكن ان تستقر عليهما الانسانية ٠٠ لان مصير الغموض والابهام ٠٠ الانجلاء والاتضاح ٠٠

ولكن كيف هو واقع اذن ؟ وهل اطلق عليه هذا الاسم متمردون عـلى الانسانية ٠٠ بطلاسم ٠؟

لم تسرق « زى » من حبيب صورتى الا لأنها ٠٠ سأقترب يـوميا من عينيها الساحرتين ٠٠ وأناجيها ٠٠ زى ٠٠ يازى

كنت اسير على الارض لكن لا اشعر انى اطؤها بقدمى حينما كنت ذاهبا الى زهيدة ٠٠ لا لا ، الى زى بعد ان كررت قراءة رسالتها مرات ٠٠ لقد كنت آنذاك قطعة من السعادة ٠٠التى طالما شغلت بالبحث عنها ٠٠ فزى التى كنت اختفى عنها تحت الجدران حتى لا ترانى ٠٠ سألتقى بهـا بعد قليل ٠٠ وفى المقهى امام كل الناس ٠٠ شىء لايكاد العقل يصدقه ٠٠ لكن يثبته الواقع ٠٠

ما اطول المسافة ٠٠ حتى يتخيل لى انى لا اصل « باب البحر » الا بعد يومين او ثلاثة ٠٠ ليتنى ارتضيت بالاجنحة التى اراد ان يسلمها لى رسول المنام٠٠ ليتنى لم اقل له انى لا اومن بشىء عدا الارض٠٠ اذنلكنت الآن احتضن الفضاء واشقه نحوها ٠٠ عوض ان اسير على الارض ولا اشعر بلمسها ٠٠

آه ٠!٠

لست ادرى كيف وصلت ٠؟ ان الواقع يفعل كل شىء ٠٠ سواء آمنت به أم تشككت ٠٠ فها انا الآن انتظرها ولقد حان موعدنا ٠٠ ستأتى الى حالما تصل ٠٠ لان صورتى معها ، اما انا فسواد عينيها لن انساه ابد الدهر ٠٠ ولن يضيع منى ولو تدمج فى الفردوس مع حور العين ٠٠

مـا أسعدنى ٠!٠

بل انى استطيع اسعـاد غيرى ٠٠ لأنى قطعة من السعادة مبعثرة فى مقهى ٠٠٠

دخلت زى تنظر حولها ٠٠ تبحث عنى وكنت فى زاوية اخترتها لبعدها عن الاعين٠٠ فلم استطع ان اشير لها بيدى٠٠ الحق انى عاجز٠٠ او خائف٠٠

انها تطوف بعينيها .. حول المقاعد .. دعها حتى ترانى

تذكرت ان صورتى التى معها مر عليها عام منذ « تصورتها » ، وخشيت ألا تعرفنى ..

يـا الله .

انها رأتنى ، لكن لم تطل النظر فى .. شىء عجاب .. كان على ان افعل شيئا فقد طال وقوفها التقطت اذناى اللحن المنبعث من قلبى .. « الحب بحر لن تعبره الا سفينة الواقع » .. فاسترجعت عزيمتى .. ورفعت يدى مشيرا اليها باصبعين ..

اثمن شىء تحصلت عليه فى حياتى ـ ابتسامة زى عندما راتنى ..

ما أجملها .. وما اسعدنى .. وما أشد غموض واقعنا .!.

اقبلت نحوى « زى » واقبلت معها حياتى المثالية .. التى ضيعت عمرى فى انتظارها .. وفى البحث عن كنهها .. فنهضت مادا يدى لأصافحها .. واصافح الشاب الذى معها ـ وشعرت وهى تقدمه الى قائلة :

رؤوف ابن خالتى وخطيبى ..

شعرت بالالحان التى كانت تبعث من قلبى .. تحولت الى دخـان .. وبقلبى العازف يشوى فى زمهرير ..

موت زهرة

بقلم جعفر ماجد

داعبتها رعشه من دفئه … فارتخت مسحورة من لثمه
وارتمى فى حضنه من شعرها … موج تبر راكضا فى لحمه
هاجه من نهدها استكباره … فابتغى اقصاءه عن وهمه
والتوى فى شهوة يمتصه … مثل طفل يستقى من أمه
ثم رادت صدرها أنفاسه … رود نشر الزهر فى أكمامه
فاختفت عينان منها كالدجى … ثم باتت أكلة من طعمه

واستفاقا فاستوى فى نخوة … هامسا : لا تذهلى يا فتنتى ؟
ذو النهى فى كوننا من مثلنا … يتبع الاهواء أنى هبت
ليتنا لم ننحدر من آدم … علنا نرضى اله العفة
عيشنا وهم فموت فاحذرى … أن تهربى فى عيشنا من لذة
بيد أن الحسن يذوى مثلما … بالجنى تذوى زهور الروضة
منذ حين كنت عندى ربة … لست أنت الآن الا عبدتى

كنت كونا فى خيالى شهبه … لاتغشيها الغيوم القاتمه
فيه يهفو النور طلقا رائعا … راقصا بين الغصون الحالمه
والروابى تكتسى من خضرة … فوقها تلغو الطيور الهائمه
بحره يلغى الى شطئانه … من ضياء التلمس لجا عارمه
كل صوت فيه يبنى سيبة (I) … كل ظل منه دنيا ناعمه
كنت كونا رحبة أرجاؤه … ما سعت فيه الذئاب الظالمة

كم قضيت الليل أشكو نظرة … دمدمت فى مهجتى أسرارها
حينما أحسست سحرا جاذبا … فى خطى لا تختفى آثارها
فالتقينا والامانى كاللظى … وافترقنا اذ خبت أنوارها
كنت شمسا ارتجيها بكرة … ان أضاءت أججتنى نارها
كنت لحنا مسكرا بل ضائعا … فى حياة قطعت أوتارها
أمس قلبى كم توارى صوته … فى دياج لا تعى أقمارها

كم تركت الناس خلفى طالبا … غابة من قبل كانت مرتعا
كان لى من أيكها ظل ولى … عشبها كم كان يحلو مضجعا
فاعترانى الحزن حتى خلتنى … عاجزا عن أن أرى أو أسمعا
كنت أعدو فى الروابى صادحا … صرت وحدى فى اكتئاب قابعا
كنت خلقا ساميا فى جنة … خالدا ما خفت يوما مصرعا
قد نزعت الروح منى غضة … والامانى قد تلاشت رضعا

(I) سيبة : مدينة يونانية تقول الاسطورة انها شيدت بسحر الموسيقى

ويل من السماء

بقلم الجنيدي خليفة

الويل حفظك الله مطلقا ، ويخص بعض المفسرين ما ورد منه فى القرآن بانه واد فى جهنم ، واد أعد لاصناف من التعساء الاشرار ، لعل قائمتهم تضم الى الكفرة الفجرة باعة الخضر المطففين ...

وتأتى اللفظة فى سياق الوعيد ، كما تأتى فى سياق التخوف من شر مستطير ... الى جانب ورودها خبرا او كما يقال موضوعا لمحمول .

والذى اعنيه انا بالويل لايغاير هذه المفاهيم بل انه ليلتقى معها جميعا فى اكثر من وجه ، فهو الهلاك الشامل ، وهو جهنم او شعبة منها فى افظع ما يتصورها الذهن ويقشعر لها الفؤاد ، وانه بعد هذا وذاك لصيحة الشعور بالخطر المحيق واللفظة الدالة على حدث فى ذاته مكين .

واذا كان ثمة من فرق بين المفهوم الذى اقصد وبين تلك التى عرفها الوضع وخرجها التأويل فهو ان هذه محدودة التأثير وان اشتد ، انها مفاهيم تتعلق بكارثةحرب ، بثورة بركان ، بانتشار وباء ... كما أنه لاشيء يلزمنا بتصديق اولئك المفسرين فى مقابل خصوبة الخيال عندهم ، وحتى لو قادتنا الى ذلك الاريحية فان الله كما هو معروف غفور رحيم ... ومن باب احرى الا يجبر عباده الابرار على الاستحمام فى الوادى الشنيع ...

اما الويل الذى اكتب عنه فلا يعرف اذا هو انطلق تمييزا بين برىء واثيم . فهو يوزع « خيراته » بكل ديموقراطية على الجميع ... ان لم يكن الجانب الاوفر منها للضعفاء والمستضعفين ، والغالب ايضا الا يقتصر التوزيع على منطقة الانطلاق بل يتعداها الى بعيد

وثمة فرق آخر . فتلك الانواع من الويل انما ينسب خلقها الى الله تعالى فليس للانسان على ارادة غالبها من سلطان . فاما هذا الويل الفظيع ، هذا الويل المريع المشؤوم فهو من ارادة الانسان نفسه ، بحر وسائله وبتصميم وتقرير . انه المصيبة وانه السيئة اللامفيدة . . .

ويل يفوق كل هلاك معروف ، ويجارى افظع وبال متخيل اصبح فى الامكان معاناته دون توقف ــ بالاانتصار ــ على الله ولا آلاخرة .

هلموا اذن يامجدى القوة وطحالب الخراب ، هلموا اذن ادعوا الرب يصفق لكم ويسلم لكم من امره عرشا !

ام انكم لتشعرون ـ بكيفية غامضة وحيوانية ـ بحقيقة توهج القبس قبيل الانطفاء ؟

ويومئذ يبزغ من تحت الرماد
مقبلا من وديان العرق الفجرى
عود يضيء ولادخان
يدفيء ولايتفحم ،
وسيكتب باحرف من حب
هناك فى مقاطع الرخام
هناك على جذوع السرو :
ما اعظم واقوى نسيج العنكبوت !
ما احقر واضعف الرماد !

***

اللهم ... لاحوالينا ولا علينا !

وبعد فاى شيء ذلك الويـل وقد لوحت به واعترتنى بخطوره شطحة كادت تنسينى نية بسطه ؟

انه شيء يصنع بالارض ومنها ، يصنـع بحجر هذه الام الطيبة العجوز وبوسائلمنها ، امنا التى اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ؛ كذلك يصنع ثم يعود عليها وعلى ابنائها نقمة لا مثلها نقمة وعقوقا لايدانيه عقوق .

وطريق هذه العودة المشؤومـة مختلفة قصرا وطولا ، سرعة وابطاء ، مباشرة ومواسطة ؛ هذا من حيث تفـاوت النقمة والعقوق ، فامـا حصولهما المطلق فان كل طريق كما يقال توصل الى رومه ، وورومه هنا هى اغلب بقـاع الارضين ...

ودع تعرفنا على الويل يبتدىء باحد اعراضه : المطر ؛ اجل ان له لمطرا يتساقط كغيره من السماء ، وكثيرا ما يكون شآبيب سخية لو رآها الفلاح المجدب لكانت المشكلة عنده تنحصر فى ايجاد مخازن جديدة لحبوب مـوسم خصيب . ولكن صاحبنا لو وعى حقيقة هذا المطر لكان تمثل بقول الرسول وزاد عليه فدعا الرب الا يصبه لا على الحوالى ولا على العوالى . ولبادر فى اغلب الظن الى تحسين العلاقات به جل جلاله

اما اناس آخرون من غير شعوبنا هذه فسيبادرون ولا شك الى ارتداء الاقنعة والواقيات بدل الاستغفار وعمل الصالحات الباقيات ...

ومثل المطر الذى ينكب الفلاحين ويغرق الناس ليعد بالنسبة الى المطر الآنف نعمة وبركة .

وتقول والحق معك : كيف تكون النقمة نعمة والنكبة بركـة ؟ اجيبك والحق معى انا الآخـر ان فى الشر ما يختار وان المشرف على المـوت ليحمد كما يقـال الحمى

والمقارنة تتمثل فى ان هذا المطر اللعين لايقتصر خطره على تهديد منطقة بالجوع او فقدان المأوى وفى الناس اشلاء من ضمير ، بل انه ليهدد الوجود ذاته وجود الناس اجمعين ، ثم فلا عاصم ولارحيم ٠

انه المطر الطاعون ، المطر السم ٠ انه عرق الجحيم المسعور !

الجـزء الذى لايتجزأ

وان تعجب فعجب ماترى ، مطر ولا كالمطر ، جحيم ولاقيامه ، وويـل لايضاهيه وبال ٠٠٠ ذلك بانه من عالم ميزته العجب والغرابة ، عالم محسوس وليس بالمحسوس ، عالم نعيشه ولا نعيه ، وانه بعد هذا وذاك لعالم الطاعـة والتمرد ، يطيع احيانا منطقنا ونواميسنا ويجبرنا احيانا اخرى ان نخضع نحن لمنطقه هو وتقاليده

واعجب من كل ذلك انه ظل قرونا عديدة عالما محتقرا عند اكثر الناس ومثل التفاهة والضالة عند الجميع ، وذلك الى ان تم اكتشاف حقيقته فى عصرنا على يد رواد منقبين ٠

هذا العالم هو عالم الذرة ، وما ادراك ما الذرة !

وهى لغة الدقيقة يعنى القطعة من الشىء المسحوقة كحبة الرمل الصغيرة ومثلها الهباءة وهلم تصغيرا ٠٠٠

وموضوع الذرة قد سبق ان فكر فيه فلاسفة يونان متأتين اليه بالبحث فى أصل المادة والكون اذ واجهوا فكرة ارجاعهما الى اصل ابسط واعـم فكان الـذرة ٠

٠٠٠وغير بعيد عن ذلك مايعرف عند المتكلمين بقضية الجوهر الفـرد او الجزء الذى لايتجزأ ٠ ٠ ٠ على اختلاف فى النهج والقصد ، غير ان هذه الافكار جميعا لـم تكن لتتجاوز نطاق النظر والتخمين المختلط بضروب من التحكـم والخيال ، وفى احسن الحـالات لم تكن لتدنو من المستوى العلمى ذى الصحة والثبـات ٠٠٠

ووقف بعد المسلمين التفكير الذرى دهرا طويـلا ثم بعث فى القـرن الثامن عشر واستقام فى قرننا العشرين ، ومن المحقق تماشيا مع سنة التطور ان يتقدم اشواطا اخرى فيما يأتى من الازمان ؛ وعسى ان يكون تقدما حقيقيا مما ينفع البشر ويفيد ٠

٠٠٠ بل يتجزأ :

ان مايهمنى بالدرجـة الاولى وانا استهدف التعريف بحوادث الـذرة الخطرة ان القى لمحة كافية لاعلى مفهومها عبر التاريخ ولكن على حقائقها كماهى مبسوطة اليوم لدى العلماء المعاصرين ، ولذلك فلا بد هنا من تبسط او فى مما فعلت فى الفقرة السابقة ٠٠٠

وموضوع المادة يصلح ان يتخذ محورا لهذا البحث ، او بعبارة اخرى مجالا له ، وقد عرفنا منذ الصغر ولابأس فى ذلك ان المادة هى ما يتمدد اى ما يشغل حيزا من الفراغ • ومن صفاتها المحسوسية ، فهى تلمس او تشم او تذاق او تبصر او تسمع بعض معلولاتها ••• او كل ذلك او بعضه ••• فهى تبعا لذلك قابلة لان توزن وتقاس وتحد ••• فالحجر والماء والهواء جميعها من المادة ، وليس اياها خاطرة تلم بوجدانك

اما الحقيقة الاخرى المتعلقة بالمادة والتى هى من بنات النظريات الحديثة (نسبيا) فهى ان جميع تلك الصفات ليست سوى مظاهر لحقيقة الطاقة التى لانحس بغير حوادثها

ومهما يكن فان المادة كصورة محسوسة للكون لتتركب عند التحليل مما يدعى بالعناصر ، والعناصر المعروفة الآن لاتتجاوز الا بقليل المائة ؛ وبناء عليه فان كل مادة معروفة لتعود الى هذه العناصر • الماء مثلا مكون مما يسمى بالاكسجين ومما يسمى بالهيدروجين ، وهما عنصران كل منهما يقوم بذاته ، وهناك بعض المواد قوامه عنصر واحد يدعى به انتسابا ، وهو الذهب مثلا

اما العنصر نفسه فهو ابسط مادة يمكن ان تستخلص من اخرى بشرط ان تظل محتفظة بخصائص اصلية معينة ، فالماء ـ وهو عند القوم مثل قام زيد عند قدماء النحاة ـ ليس بالعنصر ، لاننا لو نجحنا فى وصل انبوبين منه بقطبى التيار الكهربائى لتفكك الى الهيدروجين والاكسجين ولكل منهما كما سبق خصائص مميزة •

وهو بدوره اعنى العنصر يتركب من الذرة ، من واحدة فصاعدا حسب الكمية ، وتعرف ذرة كل عنصر به فتضاف عند التحديد اليه ، كقولك ذرة او ذرات الهيدروجين او الاكسجين او اليورانيوم او غيرها

قلنا العنصر ابسط مادة يمكن ان تستخلص من اخرى مع الاحتفاظ بالخصائص المميزة (كيماوية مثلا) فاما الذرة فهى اصغر مادة كذلك اى مع شرط الابسطية والمحافظة ، وغير خفى الفرق بين الصغر والبساطة ••• وعلى ذلك فان المعتبر فى تحديد العنصر هو الابسطية المحافظة بصرف النظر عن صغر حجمه او عظمه فى حين ان مايعتبر فى تحديد الذرة هو جميع خصائص العنصر مع اضافة الاصغرية

ومن هنا يتضح انه اذا وجد جسيم اصله من ذرة ما ، من عنصر ما ، ولكنه قد فقد بعض خصائص اصله ، عق او خان او شردته الاقدار ••• هذا الجسيم لايستحق التسمية بالذرة ولا بالعنصر وهو الابسط وهو الاصغر الادنى

انه جزء ، مجرد جزء من الذرة

وان للذرة لاجزاء

ولكي تعذر اداتي التوكيد الذى اصبح نسمع وصفه بالكلاسيكية ···
علينا ان نعرف ان اضخم ذرة واكبرها لايتجاوز ـ معذرة اخرى ـ قطرها اى الخط الوهمى الذى ينصفها ، نقول انه لايتجاوز جزءا واحدا من عشرة ملايين جزء من السنتمتر الواحد ! ودع عنك اصغرها الذى لايتجاوز واحدا من مائة مليون من ذلك ···

ثم اذا كان هذا هو الشأن مع الاصل اعنى الذرة نفسها فكيف يكون اذن الامر اى الحجم او الوزن او المساحة مع جزء من اجزائها ؟! سنتعرف على بعض ذلك فيما يأتي من الصفحات ··

وغنى عن البيان ان مثل هذا الصغر الخارق فى الذرة يجعل رؤيتها بالعين المجردة من مطلق المستحيل بل ان احد المجاهر وامضاها ثاقبية والحاحا وفضولا لتصبح بمفردها عديمة الجدوى ···

وللقوم رغم ذلك طرق تسلك فتؤدى الى حيث تصبح العين قادرة والمجهر كشافا ، انها طرق من الالتواء والمراوغة والتعقد اين منها العن ذنبضب على حد ماكان يقال !

هى اساليب العلم الحديث ووسائله ، ميادينه وآلاته المتعاونة العاملة فى طاعة ونظام ··· هى فنونه العالية ولغته الرياضية ورموزه ؛ وانها قبل كل شيء عزيمة العلماء انفسهم وكدهم وتفانيهم ؛ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون عقلهم حب كشف واطلاع ، مشمولين برعاية بلادهم القادرة المقدرة··

فتحوا لها عقولهم فاباحت لهم نفسها ووضعت تحت ايديهم كنوزها وفى اعناقهم الامانة ، الامانة التى عرضت على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وحملوها هم ليتصرفوا بها تصرف الامناء او السفهاء · ولقد اساء بها التصرف غالبهم فكان ظلوما جهولا ·

فوا أسفاه على النور يصبح وسيلة الديجور ! ثم وا أسفـاه على مؤتمن الكون ورشيده يصبح خائنه وسفيهه

« انا هدينا الانسان السبيلا اما شاكرا واما كفورا »
ولقد كفر فهل متاب وتكفير !

ولنعد من « الشطحة » الى مواصلة الحديث صارفين النظر عن مصير الامانة لدى اولئك العلماء الجهلاء الذين ابتدأواحياتهم فى ميدان نذرها لله ··· العالم المحب المؤنس للطبيعة ، لينتهوا بها الى الشيطان الجهول الحقود ملحق الانسان بالجلمود ·

مكنت تلك الاساليب اصحابهـا من هتك حجاب الذرة فاستطاعوا ان يقيسوها ويزنوها ويصوروها فتوغرافيا ويتحكموا فيها ويتعرفوا على هندستها وتـركيبها ··؛

ويهمنا الآن ان نلقى نظرة على مكوناتهـا الاساسية الشهيرة مما هـو ضرورى فى تبيان ـ حفظ الله الجميع ـ الجانب الشرير منها

يعتاد الناظر فى الكتب التى تعالج الـذرة ان يعثر اكثر من مـرة على تشبيه هذه بالمجموعة الشمسية من حيث نظامها وكيفية تـركيبها ٠ وليس ذلك لغاية التبسيط والتسهيل وحدهما بل ولاشتراك حقيقى فى جوهر ذلك النظام وذلك التركيب

فللذرة كتيلة مركزة فى وسطها تدور من حـولها وفى افـلاك معينة كتيلات اخرى صغرى يحافظ على مداراتهـا جاذبية ودافعية كالتى هى بـين الشمس وكواكبهـا ٠٠

وهذه الشميسة المسماة بالنواة عبارة عن نوعين من الجسيمات المتراصة المتماسكة يدعى احدهما البروتون والاخر النيوترون ٠ ٠ ٠ وذلك مهما يكن نوع الذرة وانتسابهـا ٠ اللهم الا فى ذرة عنصر واحـد تاتى الاشارة اليـه لاتتركب نواته الا من نوع واحد من الجسيمات ٠

فالبروتون يعرف بانه جسيم ذو شحنة كهربائية نوعها موجب ٠ واما النيوترون فمعناه فى لغته المحايد ثم اشتق ذلك للاشارة الى انه جسيم لايحمل شحنة عـلى الاطلاق ، وذلك لـما هو معروف فى علم الكهربـاء من ان نتيجة الشحنة السالبة والموجبة اذا تعادلتا تصبح صفرا ، وهو عين الحالفى النيترون: شحنتان مختلفتان متساويتان ، ومن ثمة فهو كثيرا ما ينعت بوصف المتعادل

والذى يدور حول هذه النواة المركبة ان هو بدوره الا نوع من الجسيمات (على اعتبار ما) يتمتع كالبروتون بشحنة كهربائية ولكنها على عكسه سالبة ، واسمه العالمى الالكترون وقـد اشتهر عند اكثر العلمـاء العرب ـ المحدثين طبعا ـ باسم الكهرب او الكهيرب ٠٠٠ محظيا بهذه التسمية الشهيرة دون بقية اخواته التى ظلت فى اعجميتها اشهر واجلى ٠٠٠

ومجموع عدد الكهارب فى ذرة عنصر مايتساوى دائما مـع مجموع عدد البروتونات فى نفس العنصر ، ولكن مجموع عدد النيوترونات فى ذرة نفس العنصر لايتساوى دائما مع ايهما ، كما ان كل ذرة عنصر تختلف بعدد كهاربها او بروتوناتها عن اية ذرة عنصر آخر ٠٠٠

فمثلا ذرة العنصر المسمى بالهيليوم تحتوى على نواة قوامها بروتونان ونيوترونان يدور من حولها كهربان كذلك ، غير ان هذا التساوى بين اعداد انواع الجسيمات الثلاثة ليس بالقائـم فى جميع العناصر واصنافهـا كما سبق التنبيـه ٠

فهذا عنصر اليورانيوم الاصيل المهيب لذرته اثنان وتسعون كهربا تدور على نواة بها عين العدد من البروتونات فى حين ان نيوتروناتها لتساوى ستا واربعين ومائة (146)

. هذا وليس من باب الاطناب فى غير مقامه ان نقف وقفة طويلة نسبيا حول مسألة العدد هذه فأليها تعود جميع الخصائص الذرية الاساسية ، ولوكنت « العقاد »لاستخدمت فى الترجمة لها مثل تلك « المفاتيح » و « السمات » التى عالج بها « اقفال » العباقرة الذين ترجم لهم ...

ان عدد البروتونات مضافا الى عدد النيوترونات فى ذرة عنصر مايتناسب طردا مع ثقله وخفته ، اى كلما ارتفع عددها ازداد ثقلها وكلما انخفض خف ، فى حين ان بقية اجزاء الذرة (الكهارب) لضئالة وزنها الخارقة لاتكاد تذكر فى مسالة الوزن وتقديره ، ومن ثمة صح اعتبار النواة ممثلا كفئا لثقل الذرة كلها، ومن هنا ايضا نفهم كيف ان عنصراكاليورانيوم هو من اثقل العناصر . لما تقدم من اكتظاض نواته

اما عدد الكهارب فهو يعين الخصائص الكيمياوية والاشعاعية والترتيبية ، وبقدر مايتوفر ذلك فى عنصر ما من العناصر ووفقا لهذا المقدار يأخذ العنصر رتبته ومركزه وقدره بين اخوانه ... ولذلك كان اليورانيوم ثانيا وتسعين والهيليوم ثانيا فحسب .

هذا ويجب ان ننبه عـلى ان هذا الترتيب لايعنى التـدرج فى الاهمية او التدرك فيها كما قد يتوهم ، اذ ان الاهمية قضية متعلقـة بالانسان نفسه وليست بالطبيعة ومن ثمة فهى قابلة للتغير والتبدل عرضة لمختلف الوجهات. وبعبارة اخـرى فان وظيفـة التـرتيب التعيين وليست التقييم (ولا اقـول التقويم ...)

ومهما يكن فان الذهن قد يتفقدهاهنا صاحب العدد الرتبى الاول فى سلم العناصر او جدولها ، ماهو وماعساه ان يكون ؟

والحق انه ليس الا عنصرا متيما محروما ...

عنصر تتركب نواة ذرته من بروتون وحسب ليس يجاوره على خـلاف سائر العناصر اى نترون اصيل ، ويدور من حوله ولا يفتأ يدور كهرب وحيد . وذلك بغض النظر عن العنصر الهجين الذى يشتق منه ...

وهذه الصفات الاستثنائية هى التى جعلتنى اتناساه قبل الآن . ولكن لاينبغ ان نعتبر فقره حاطا من قيمته وان عزوبته تلك قد تتسبب فى النيل من سمعته لدى اجواره والناس مثلما رفضت اسكانى قهرمانة شمطاء ...

والواقع ان لهذا العنصر مزايا ، مزايا تفوق الحصر والتعداد ، والحق ان الفضل فى هذه المزايا يمكن ان يعود الى حرمانـه نفسه والى عـزوبته بالذات ان ... ان استقام اللفظ واغمضنا عن اطراد القياس ...

انه عنصر الهيدروجين الجبار !

ولا غرو فكم كان لليتم من مزية ، وكم كان للوحدة من حسنات ٠٠٠

هذا وليس دوران الكهرب حول النواة مما تختص به دون سواها ذرة الهيدروجين كما قد يوهم الاسلوب السابق ، بل هو صفة مشتركة بين جميع الذرات على اختلافها وتعددها ٠

فاذا تقرر ذاك قلنا انه دوران ذو سرعة فائقة جدا ، كما انـه ذو نظام خاص تتبعه اثناءه الكهارب ، نظام يتبدى فى توزعها على افـلاك اومدارات متباعدة عن النواة يحتل كلا منها عدد معين من الكهارب ذو حد اقصى لايمكن مجاوزتـه

فالمدار او الفلك الاول اعنى الاقرب الى النواة لايسمح بأن يـدور فيه اكثر من كهربين ، والذى يليه لايقبل منهـا اكثر من ثمـان وكذلك الفلك الثـالث ٠٠٠

ومثل هذا الدوران الفائق السرعة يـدل على ان معظم الذرة فـراغ كما يدل بعد اعتبارات اخرى على ان المسافة بين الكهارب والنواة جد بعيدة نسبيا حتى ان بعضهم اخذ ينظرها مع التى هى بين‌الشمس والارض ٠

اذا الفتنا الانظار ان لابد لمسك هذا النظام والمحافظة عليه من قـوة ، واذا استحضرنا البعد السحيق بين الكهارب والنواة والسرعة الهائلة الدورانية علمنا ان لابد ايضا ان تكون هذه القوة الماسكة المنظمة المحركة على جانب جد عظيم من العنف والشدة ٠

الا ان هذه القوة لاتتبدى مـا دامت الذرة فى حالتها الطبيعية ، مثلما لاتتبدى قوة الشد فى القوس الموتر قبل انطلاق السهم ٠٠٠

ولكن كيف هى الطاقة الهائلة الكامنه بالذرة ؟

لقد سبق ان ذكرت احتواء النواة على نوعين من الجسيمات صفر الشحنة وموجبها كما ذكرت مـا يدور حولها من الكهارب السالبة ، والآن يجدر ان نقول ان الشحنة الموجبة على النواة والشحنة السالبة على الكهارب متساويتان تماما ، وذلك مهما اختلف عدد هذه وتلك ، ومهما كان نوع الذره وعنصرها الذى تنتسب اليه ، وبالرغم من اثقلية النواة ان كان فى الاثقلية مـا يوهم بأزيدية الشحنة الكهربائية وتفوقها اطرادا على ذى وزن اخف ٠٠٠

فالذرة اذن فى مجموعها وفى تكاملها وفى حالتها الطبيعية انما هى على تساو واعتدال ؛ وهذه حقيقة بالغة الاهمية فى ذاتهـا وبالغة الاهمية فيما يتلوها من استنتاج ٠

فمعنى ذلك اولا ان بالذرة طاقة عنيفة ملجمة وحبيسة

ومعناه ثانيا اننا لو نجحنا فى احداث اختلال عـلى التساوى والاعتدال لكانت الطاقة الحبيسة قد تحررت فانطلقت ، كلها اوبعضها حسب مدى‌النجاح٠

وقد تمكن بالفعل العلماء من بلوغ هذا الهدف يوم ان نجحوا فى ترويع الذرة وادخال الفوضى والاختلال على تئالفها ونظامها ، فدشنوا بذلك حقبة جديدة فى تعامل الانسان مع الطبيعة وتنازعهما ٠٠٠

ولكن باى اسلوب وعلى اية كيفية يتم ذلك ؟

الواقع ان التبسط فى مثل هذا الموضوع لتعجز عن استيعابه المجلدات الضخام كما يعجز عن ايعابه بمفرده اقدر العلماء ٠ فكيف بفقرة فى مقال وقلم ليس من ذوى الاختصاص !

ولذلك علينا ان نقتسر وان نقتصر على الخطوط العريضة كما يقال ٠٠٠ ولكن الكافية على كل حال ، فى مثل هذا المقام والمقال ٠٠٠ مقدما بعضها الآن وعائدا اليه والى بعضها الآخر بعد كلمات ٠٠٠

اذا قذفت النواة موضوع التجربة بجسيم معين من اجزاء ذرة ماحدث على توازن الاولى تشوش واضطراب فى تركيبها ومسارات الكتروناتها فيسرى من ثمت الاختلال فى سائر اجزاء ذرتها وتفقد الكهربائية والمغناطيسية الرابطة بها اعتدالها فتخرج عن طورها معبرة عن اهتياجها بانطلاق طاقة عنيفة من الحرارة والاشعاع وامواج الضغط الشديد ٠٠٠

وتتم هذه العملية بعد ان تستخلص بالاساليب العلمية بعض النيترونات او البروتونات ٠٠٠ وتوضع فى جهاز خاص مهمته تعجيل دورانها واكسابه سرعة فائقة حتى تنطلق من فوهته وقد اكتسبت القوة اللازمة الحاصلة بالسرعة لتسدد نحو قلب الذرة المقصودة فترتاع سويداؤها وترد الفعل على النحو الذى سبق

وعندما يتواصل التسديد الى ذرات بعض العناصر تظل عملية الانفجار متواصلة كذلك فيستمر نشاط الاشعاع والحرارة وغيرهما موجودا بل متزائدا متدرجا فى العنف الشديد بسبب ان كثيرا من اجزاء الذرات موضوع التجربة تصبح الى كونها متفجرة فى ذاتها مساهمة فى تفجير اخواتها ٠٠!

فيا للقتل والانتحار !

وفى هذه الحالة تصير الذرة موضوع التجربة اثناء تفجرها المتسلسل الى ذرات بعض العناصر الاخرى الاخف ، ثم تقف وتهدأ فتصبح فى حالة اعتدال مثل أية ذرة طبيعية تنتسب الى العنصر الذى بلغته ثورتها – او حربها الاهلية – الجامحة ٠٠٠

وهكذا تنتهى سلسلة الانفجار فى ذرة اليورانيوم مثلا الى ذرة رصاص متوصلة اليها بعد ان مسخت مرات عديدة الى ما هو اثقل من هذه واخف من تلك ٠

وسنعلم بعد قليل ان الانفجار المتسلسل هو من اهم المبادىء المراعاة معطياتها فى القنبلة الذرية الى كونه من اشهر لوازم انفجارها ٠٠٠ اما الآن فيجدر ان نتذكر عنوان الفقرة لنختمها رادين على الاقدمين الذين ظنوا ان الجزئى لايتجزأ فراحوا يعتورونه دليلا على قضايا كلامية ٠٠٠ بينا هو بالعكس يتجزأ ويتحطم كما سبق ان بينا

فهل لايجدر اذن بالمتكلمين ـ علماء التوحيد ـ الحريصين على مبادىء الاقدمين ان يراجعوا ماترتب على ذلك الدليل فيشطبوه او يحاولوا التوفيق بين حقائق العلم كما زالت عنها الحجب وبين الوهم والتخمين !

اجل ! عليهم ان وجدوا ان يفعلوا ذلك والا فسيوجد من يتمثل والاسلام دينه بالبيت المشهور :

اعيدوا صلاتكم كما قال خليلكم ان الصلاة وراء المشركين حرام

وسواء اكان الامر صلاة وراء مشرك ام اهتداء وراء جاهل فكلاهما ضال وكلاهما مفتقر الى العودة وسواء السبيل ٠

قليل من الارقام :

لم تكن طبعا مهمتى فى هذا المقال تنبيه رجال الدين الى واجبهم فى نطاق العصر الذرى والفضائى واغلبهم من الجهل والخمول والاحترافية الى حد ان التصدى الى ذلك يصبح شبيها بالنفخ فى الرماد ٠٠٠ وانما هى طريقة لا اكره سلوكها كلما اجدى الحجر الواحد فى اكثر من عصفور ٠٠٠

وفى نطاق المهمة ارى من الضرورى ان اثبت بعض الارقام بقدر ماتعطينا فكرة اجمالية عن حقيقة الطاقة الكامنة فى الذرة ، فلو اننا نجحنا فى تحرير ما يوجد منها فى غرام واحد من الفحم لتحصلنا على طاقة تعادل الحرارة الناجمة عن احتراق ثلاثة آلآف طن من عين الفحم احتراقا عاديا !

ونستطيع ان نعبر بصورة اخرى عن هذا التعادل فنقول ان طاقة الغرام الواحد من الفحم تستطيع اذا حررت جميعها ان ترفع حرارة اكثر من مائتى الف طن ماء من درجة الصفر الى درجة الغليان !

والاعجب ان طاقة الذرة الجبارة انما توجد فى نواتها بل فى جزئيها البروتون وهو وان كان مع النيترون يمثل 99،9 من مجموع وزن الذرة فان كتلته لاتتجاوز جزءا واحدا من ستمائة الف مليون مليون مليون جزء من الغرام الواحد !!

والاعجب من كل ذلك انه رغم هذه الضآلة المعجزة فى وزن البروتون فانه ينطوى على قوة جذب مع بروتون آخر تتراوح بين اربعة كيلو غرام وبين العشرين !!

واذا كان ذلك هو الشأن بين بروتونين فكيف بـه مع كتلة تحتوى على الملايين منهما مثلما هى الحالة فى القنبلة الذرية مثلا ٠

٠٠٠فى سبيل « بوتاج » ساخن

بذهنى الآن بيت لنزار قباني يتساءل فيه عن ثمرة الطاقة فيقول :
« الذرة من اجل السلم !؟ » ثم لايلبث ان يجد الجواب فى هذا المقطع :
« الذرة من اجل الظلم ٠٠! »

وانه لجواب مع الاسف الصادق يسانده الواقع ويبرره الدليل ٠ ذلك ان حل مظاهر هذه الطاقة الهائلة لايتمثل الا فى صورة اسلحة وقنابل ومدمرات ، ولم يستغل منها للاغراض الانسانية او السلمية كما يتبجح بعضهم غير مقدار عند المقارنة جد ضئيل

فقد سمعنا بالساعة الذرية والبواخر والمولدات الكهربائية التى تم صنعها ٠٠٠ ولكن اين الطاقة المستغلة فى هذه من الطاقة المتفجرة فى قنبلة ذرية عادية البالغة قوة انفجار عشرين الف طن من اجود المواد تفرقعا

هذا واذا جاز ان نسلم بوجود التقارب بين مدى التسخير الشرى وبين مدى الاستثمار الخيرى ، فانه لايمكننا بحال ان نعتبر بالمثل الفرق تافها بين الربح والخسران ٠٠٠ اذا وازنا بين الامور بمقاييس الانسانية والحضارة وبروح اى تأسيس وبنيان ٠

على ان التشدد فى مراعاة الواقع بجميع اقطاره ولو دقت وتضاءلت ليقتضى الباحث الا يهمل تطبيقات الذرة فى مثل ميادين الطب والزراعة وغيرهـا مما تجرى فيه المحاولات ٠

غير ان ذاك التشدد نفسه لايلبث حتى ينبهنا الى ان اكثر التطبيقات السلمية المشار اليها هى لاترجع الى عظم الطاقة الذرية بقدر ما ترجع الى بعض خصائصها الاخرى التى يمكن ان ينظر اليها على غير اساس الطاقة نفسها ٠٠٠

فمن السفسوطائية المغالطة اذن ان يلحق بعض العلماء ميدانا بثاخر منظور اليهما من وجهتين مختلفتين ثم يقدمه على انه صورة واحدة لمنظر واحد ٠٠

ومهما يكن فان دعاية ضخمة مشبوهة ربما ومبالغ فيها قطعا قد احيطت بعلاج بعض الامراض ذريا ، فى حين انها لاتـزال مجرد محاولات تكاد تكـون مقصورة على بعض حالات السرطان ـ مميت دالس ـ واللوخيما ـ تزايد كريات الدم البيضاء ـ وتصدع العظام ٠٠٠

واذا كانت هذه المحاولات لتجدى احيانا فى اشفاء المريض او التهوين عليه ، فانها ايضا قد تحدث له فى احيان كثيرة مضاعفات عكسية يكون نتيجتها فقدان الحياة ٠

فاصح وصف اذن توصف به تلك التطبيقات انها محاولات ، ولكن مع العلم بان فشلها لايقتصر دائما على ابقاء ماكان على ماكان وانما هو قد يتعدى الى جلب الممات ··· وابدال السقام بالحمام ·

الا ان تدمير حياة فرد واحد لايمكن ان تعــادل خسارتها بتجويد الآف الهكتارات وتحسين الآف الاصناف الانتاجية ، وجعل المسافر يسير باسرع من الصوت ··· اذا كانت الغاية من ذلك هى تسمين اليات المرابين والمحافظة على سخانة مأدبة من نيويورك الى بعيد البلد المضياف ··· فليت شعرى كيف تكون الخسارة اذا نحن تذكرنا مئات الآلاف من الارواح التى دمرتها قنبلتا هيروشيما ونجازاكى ، بل ليت شعرى كيف تكون الخسارة بعد ان وصل القوم فى مدارج « التقدم » حدا تصبح معه القنبلتان فقاعتى صابون ؟! اجل ان العقل عاجز عن تقدير الخسارة فيما اذا دارت حرب الذرة او تواصلت تجاربها الفتاكة ·

ولقد كتب عالم نووى كبير استيقظت فى ضميره مسؤولية الامانة ؛ عن الاخطار الذرية المتوعده كلمة جاء فيها :» اكتب لاخيفكم ، انا نفسى خائف ، وكل العلماء الذين عرفتهم خائفون ···« ·

اذا القنبلـة انفجرت ···

ربما وهم البعض فاعتقد ان الامر بالنسبة الى تجارب القنبلة لاينطوى على خطر مقلق ، وان الفرق بين هذه وبين القنبلة السلاح شبيه بما يوجد من فرق بين الخراطيش المستعملة فى الحرب وبين تلك التى توصف بالبيضاء

والحق ان لفظة التجريبية لتوهم فعلا بمثل ذلك ، اذ ان العقل انما ينصرف ازاءها الى المقارنة بين وجود وعدم وليس بين وجود وجود فقط متفاوت الاهمية والخطر ولكنه على أية حال قائم الذات محصل الجوهر ·

على ان ماسبق ان بيناه فى امر محاولات تطبيق الذرة فى العلاج ليصلح ان يتخذ اساسا يتبدد عليه الوهم والاعتقاد ، وبكلمة اخرى فان كل « جد » فى عالم الذرة هو اعظم من اى جد عرفناه ، وكل « هزل » فيه ان هو الامن اسوء جد معروف ···

ونعود الآن الى اكمال تلك الخطوط الاولية الملوح بها آنفا فنقول ان القنبلة الذرية سواء كانت سلاحا ام تجربة فانهــا لاتخلو من كمية معينة من عنصر اليورانيوم المميز برقم 235 لان هذا العنصر ببروتوناته الكثيرة واجزائه الاخرى العديدة وبقية مزايا نوعه ذو قابلية شرهة للانفجار المتسلسل · وقد اشرت سابقا الى اطراد مثل هذا التسلسل حتى الانتهاء عند ذرة الرصاص كلما استمر القذف والتسديد الى العنصر مــوضوع العملية · غير ان للاورانيــوم خــاصية الاستغناء عن مــواصلة قذفه فى تسلسله الانفجارى ، وذلك متى بلغت الكمية منه حجما محدودا تعرف ضبطه الاسرار الحربية

وهذا هو المبدا الذى يقوم عليه صنع القنبلة الذرية ، فتهيأ كمية اليورانيوم على جزأين كـل منهما اقل ـ اوحتى اكثر ربما ـ من الحجم الحرج ليوضعـا فى اجهزة تتكفل وقت الحاجة بضمهما الى بعضهما بعضا ، ثم يصوب على المجموع وابل من النيوترونات او البروتونات منفوثة من مدفع جبار القذف والتعجيل ، يكون بمثابة الشرارة القادحة او ما يعرف فى لغته بالـ « كابسيل »

فاذا ما توافرت الشروط وحصل هذا الاقتران المشؤوم جمعت من عقالها طاقة القنبلة الحبيسة فانطلقت فى مواكب من الوهج الخاطف والدوى العـاتى المهول تحف بها ظلمات من الدخان المـارد وسحب الجحيم ، مصعدة بسرعة الى السماء ...

اما الطاقة نفسها فتتبدى فى شكل كرة عظيمة من النار تبلغ حرارتهـا ثلاثة الآف درجة مائوية ، اى نصف درجـة الحرارة عـلى سطح الشمس ! كما تتبدى فى امواج عنيفة من الضغط تبلغ سرعتها حـوالى 318 مترا فى الثانية الواحدة ! وتدور بسرعة على الارض من اقصاها الى اقصاهـا قبل ان يعتريهـا فتــور !!

وبحسبنا ان نعلم ان برجا من الفولاذ اعد لاجراء التجربة على اول قنبلة ذرية قد تبخر بمجرد ان حصل الانفجار ، وان امواج الضغط المصاحبة قد اطاحت بشخصين كان يقفان على بعد تسعة كيلومتر من مكان الانفجار !.. كما جاء فى بلاغ رسمى لوزارة الحرب الامريكية

ومثل هذه الشدة فى الضغط تجعل من المستحيل اخفاء التفجيرات كما تجعل من النادر انطلاءها ببعض الحوادث الطبيعية ، وذلك لتمكن ابسط جهاز (ميكروباروغراف) من تسجيل هذه الامـواج ؛ من جهـة ، وذلك ايضا لكـون الحوادث الطبيعية المعنية مقصورة على مثل انفجار البراكين القوية جدا بكيفية تفوق المعتاد ، وعلى مثل اصطدام الارض ببعض المذنبات ... وكلاهما نادر ـ من الجهة الاخرى

ويجرى تفجير القنابل على مسافة قريبة اوبعيدة من سطح الارض ، باقامة الابراج الخاصة او بواسطة المظلات ونحوها ... وبمجرد ان تتم العملية يتصاعد فى دقائق معدودة الى حوالى 15 كيلومتر جسم المـارد الذرى المكون من النـار والدخان والمواد المتبخرة ... جارفا معه فى الحالة الثانية بعض الاديم الموجود تحت قاعدته ... امـا فى الحالة الاولى حيث يجرى على بعد قـريب من سطح الارض تفجير القنبلة فانقوة الجرف كما هو واضح تكون اشد فينحشر الى جسم المارد المصعد عدد لايحصى من اطنان المواد الموجودة على السطح تاركة مكانها هوة سوداء ؛ وقد قاس العلماء معدل المساحة التى تنتشر عليها قاعدة المارد فوجدوا قطرها نحوا من ثلاثة ارباع الكيلومتر ، اى ان جميع ماينتشر على سطح هذه المساحة الدائرية يصبح بخارا !

واذا كان هذا المقدار انما يتعلق بحجم جسمه فقط فمن الغنى عن البيان اذن ان نقـول ان تأثيره او منطقة نفـوذه تتجاوز ذلك الى مئات بـل والـوف الكيلومترات ...

وتختلف بالنسبة الى الغاية من مقالنا هذا اهمية المـواد المنجرفة كلما اختلفت طبيعة مصدرها وتكوينه

فهى من اشد ماتكون اهمية اذا اختير السطح اليابس ميدانا للانفجار .
اما اذا كانت الصحارى هى ذلك الميدان فان الاهمية تكتسب قيمة بالغة وتصبح بلا نظير

ذلك بأن الاتربة والغبار والرمال هى على الاطلاق اشهى مـواد السطح والاديم ، فى شره المـارد الرجيم . ومن ثمة فهو يحشرهـا اليه حشر ... النهمان النهيم . وستعرف بعد قليل وجه الاهمية وشرها العميم .

ويـل من السماء !

الاشعاع من الزم لوازم القنبلة الذرية ؛ وهوعبارة عن موجات من الجسيمات الفائقة الدقة ينطلق بعضها بسرعـة الضوء ! فهى لذلك شديدة النفـاذ فيما يصادفها من الاجسام والاشياء فتخرقها تخريقا وتتلفها ايما اتلاف .

وتكتسب خاصية الاشعـاع هذه عن طريق العدوى جميع المـواد التى ساهمت فى صنع القنبلة او التى علقت بكرتها النارية من آلاف اطنان الرمل والتراب والفولاذ والغبار والسحب المصادفة فى طريق الصعود

ولنعد الآن الى هذا الحشد الهائل بعد ان تركناه على ارتفاع 15 كيلومتر من سطح الارض

والواقع ان جسم المارد وقد بلغ هذا الارتفاع يكون قد فقد الكثير من حرارته وامـواج ضغوطه وماترتب عليهما من المغناطيسية والكهربائية ... وذلك لما هو معلوم فى القوانين الطبيعية من ضرورة التعديل بين الحرارة والضغط الذاتيين وبين درجتهما بالجو المحيط . ولما هو معلوم كذلك من اطراد انخفاظ الحرارة كلما حصل ارتفاع فى طبقة الجو السفلى المعروفة بال « ترابوسفير » ..

وهكذا تمتزج الاهوية الباردة بحرارة المارد وتنتشر ضغوطه العاتية فى الامواج الاقل شدة او الواهية . حتى اذا ما حصل التعادل وساد الاتزان ارتدع المارد عن مزيد الصعود وقد اخـذ فى التلاشى الافقى منتشرا على مساحـات جويـة واسعة

هنا يبتدىء المارد الذى اصبح غبارا ودقائق فى الاستعداد الى التساقط على الارض وجوها القريب ، متأثرة بمالها من وزن ولو طفيفا وبما يثقلها من انواع الهطول الراجحة المصادفة والوقوع .

وتختلف مدة الاخذ فى التساقط بعد الانفجار من نحو نهار واحد الى بضعة اسابيع وذلك باختلاف حجوم الدقائق وتفاوتها فى الاثقلية وباختلاف حالة الجو السائدة من درجة رطوبة وكثافة وتوزع الاهوية ووفـرة السحب ونحوها من العوامل الطبيعية المساعدة او المؤقتة التعويق ٠٠٠

وكذلك تختلف سعة المنطقة التى يقع عليها التساقط تبعا لقوة القنبلة بالاضافة الى عوامل الجو المذكورة وخاصة لتصريف الرياح

فهذه المنطقة قد تنتشر على الوف الكيلومترات اذا بلغت قوة الانفجار ما يتراوح بين العشرين الف طن والثلاثين كذلك من قوة انفجار الديناميت ، واذا اشتدت سرعة الرياح وتوزعت تياراتها على كثير من الاتجاهات ٠٠٠

وقد تكون منطقة الترسب اوسع او اضيق فى غير هذا وذاك ٠

فهى اضيق كلما كانت القنبلة صغيرة واعتدلت من الجو الطقوس والاحوال اما اذا تشبع جونـا الارض مغناطيسية وكهربائية فدمدم الرعـد وانقضت الصواعق وجمحت العواصف فطغت الرياح ٠٠٠ اما اذا تراوحت قوة الانفجار بين الثلاثين الف طن والمائة ٠٠٠ فان منطقة الترسب قد تصبح الارض جمعاء !

وفى هذه الحـالة لايتم الترسب فى يـوم او شهور بـل انه ليستغرق سنوات تتراوح بين العشرة والعشرين !

ويعود سبب البطء الى ان الانفجار القوى يصعد مارده الى ارتفاع يجاوز طبقة « التروبوسفير » فيبلغ المنطقة فوقها المدعوة بالـ « ستراتوسفير » ؛ وهى منطقة على عكس الاولى قليلة السحب والبخار فهى قليلة المساعدة على الترسب السريع ، فيظل الغبار الذرى ينزل ببطء الى التروبوسفير تحتهـا حيث كل مساعدة وتسهيل ٠٠؛ وهكذا تتكامل طبائع الطبقتين الجويتين فى سبيل تغطية سطح كرتنا الارضية بدقائق الانفجار الذرى واشلاء مارده الرميم٠

ومعنى هذا اذا لم ننس ماسبق ان ذكرناه من ان الغبار الذرى يكتسب بفعل التلوث خاصية الاشعاع ـ معناه بداهة ان سكان المعمورة قـد اصبحوا عرضة لفتك الاشعاع وموجاته المبيدة للخلايا والانسجة والاجسام ٠٠٠

فاذا ما تعرض المرء لقدر كاف من ذلك ازرق لونه رويدا ثم تفتت جسمه وتناثر٠وقد تبين ان مادة السترانشيوم 90 ـ وهى من نتاج الغبار الاشعاعى ـ تصيب ضحيتها بالسرطان واللوخيما كما تؤثر تأثيرا سيئا على الوراثة ٠٠٠ وهى كلها امراض لافائدة فى التأكيد على خبثها واعضالها

وهناك موجودات ضئيلة جدا يقال لها الفيروسات تتكاثر حسب بعض العلماء بفعل الاشعاع الذرى هى السبب فى انواع عديدة من الامراض الوبيلة اهونها اهون حالات (الانفلونزا) التى اجتاحت آسيا وافريقيا وبقاعا كثيرة فى سنة 1957 وما بعدها حيث اضيف غبار التجارب الذرية التى اجرتها امريكـا اذذاك الى ماسبق ان وجد مثله فى الجو ٠٠٠

وهناك كوارث غير مباشرة يسببها الاشعاع ، اذ ان من صفاته تكثيف بخار السحاب وتهيئته للهطول ٠٠٠ كما ساعده هذا على الترسب والنزول لاسباب متداخلة ٠٠٠

ولذلك كثيرا ماتعقب الانفجارات الذرية امطار غزيرة وتقلبات فوضوية فى مسارات الاهوية وتيارات البحار وعواصف وفيضانات ٠٠٠ فتغرق وتشرد الى جانب التلويث بالاشعاع مالايحصى من الناس

الا ان الخطر الناتج عن التفجيرات الذرية لمزعج الى حد لايتصوره العقل اذا نحن تذكرنا ان التجارب المجراة فى سنة 1957 مثلا لما تعط بعد « ثمرتها اليانعة » ٠ ولايفهم اصرار القوم عـلى ذلك وهم المدركون لفداحة الخطر الا ان يكونوا قد صمموا على الابادة والانتحار ، والا ان يكونوا قد خططوا بعد ملاجيهم وقصورهم فى الكواكب والاقمار ٠٠ قبل ان يلوثوهـا هى الاخرى بأدرانهـم الهلاكـه !

وبحسبنا ان نعرف ذهاب بعض العلماء الى القول بتناقص اشعة الشمس الواردة الينا اذا ما تمادى القوم فى اجراء التفجيرات الذرية والنووية ، وذلك بسبب تكاثر مـواد الغبار فى طبقة الستراتوسفير التى لاتسمح بالتساقط الا ببطء كما سلف ، فتصبح مظللة بمثل السحب تمتص الاشعة وتحجبها عن الوصول الينا بالمقدار الضرورى ٠

ويؤيد هذا الراى كثير من الاستقراءات الجيولوجية عبر العصور الاولية حيث كانت البراكين الجبارة تطول بحممها منطقة الستراتوسفير

وسواء استقام تعليل الحقب السائد فيها الجليد بتسبب البراكين فى صحب اشعة الشمس اذذاك ام لم يستقم فان الامر الذى لاشك فيه ان تكون سحب من مواد ظروف الانفجار على الكيفية المذكورة ـ ليتسبب حتما فى تقليل مايصلنا من اشعة الشمس ان لم يحرمنا منها زمنا طويلا ٠٠٠

وغنى عن البيان انقصة الحياة لتبتدىء بالاشعة كما تنتهى بما قد يعروها من زوال وفقدان ٠

ومعنى ذلك ان حرماننا من الشمس او من مقدارهـا الكافى لايفقدنـا فحسب نعمة وانما يودى بنا الى نقمة ، نقمة تجرف الى العدم حياتنا وحضارتنا فنصبح مجرد تاريخ فى سجل الكون ، فى ذاكرة الله الباقى المحيط ٠

٠٠٠ لانه لن يبقى حينئذ على ارضنا قارىء ولامقروء ، صغيرولاكبير ، ولن يبقى غير علام الغيوب ٠

لاجرم انه جـزاء يعادل خيانة الامـانة المحمولة ، واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، وصدق الله العظيم ٠

ندوة القراء

نـزاهة النقد دعـامة حرية الفكر

نشرت مجلة « الفكر » فى عددها الاخير مقالا للاستاذ الشاذلى بويحيى تحت عنوان « اسبوع الشابى » نقد فيه صاحبه نصيبا وافرا من المحاضرات التى القيت « بدار الجمعيات الثقافية » ٠ وانك أيها القارىء طالعت ذلك المقال كما طالعته ووجدت فيه كما وجدت نقدا حرا نزيها تحاشى فيه الناقد ذكر اسماء المحاضرين ولم يعتبر فيه الا بحوثهم وقيمتها فى نطاق الحيـاة الادبية ببلادنا ٠ ولعلك استبشرت بتلك البادرة الطيبة فى النشاط الادبى فحمدت الله على موت الجمود الفكرى وعلى وعى بعض المثقفين وتمسكهم بمبادىء حرية الفكر واحترامهم لحرمتها ورعايتهم لقداستها ٠

الا انك قد لا توافق صاحب المقال على بعض آرائـه وقد لا تسايره فى بعض احكامه فتميل نفسك الى الرد عليه ردا لا يمكن ان يخرج عن مظاهـر اللياقة فى الرد ولا عن مذاهبه المحترمة عند كل من يستحق صفة الاديب ٠ وانه ليضطرك اى ذلك ما فى نقد صاحب المقال من احتشام ومناصرة للذوق ودفاع عن الادب الحق لاسيما انك لمست فيه انجع ما للنقد من المذاهب فقدرت حق قدره خلوه مما قد يدنسه من مرض النفس او « يزيفه » من الغرور والغى فلا تحمل على الاستاذ بويحيى ــ ان وطنت نفسك على حب الحق والسداد فى الراى والتزام مايلتزمه الادباء فى كل عصر وفى كل بلاد من نزاهة ومروءة ــ لتشبعه شتما وتلوث شخصه ببذاءة الهجاء ووقاحة التعبير بـل تأبى عليك نفسك الا الرد عليه ردا طيبا سليما نافعا لحرية القول والفكر مفيدا للنهضة بالحياة الادبية وبعثها بعثا صحيحا ٠

وان نفسك لاتؤاخذك لو ذهبت فى الرد ذلك المذهبوانه لا لوم عليك لو احترمت ما لفن النقد من اصول ٠

ثم انك ترتاح نفسك لو عثرت على رد على الاستاذ بويحيى لايخرج عن تلك الطريقة فى الرد وانك لاتغتم لو وقفت على نقد يحترم اصوله وقواعده بل انك ترحب بذلك وينشرح صدرك كما ينبغى ان ينشرح للحق ويفعم السرور قلبك بحرية القول والفكر وبانتعاش الادب الحق وخيبة سلطان الرياء والكذب واستئصال داء الجمود والجبن ٠

الا انك طالعت فى مجلة « الاذاعة » ردا على الاستاذ بويحيى تحت عنوان « الشابى بين التزييف والبحث العلمى » بقلم الدكتور محمد فريد غازى الذى كان ساهم فى محاضرات « اسبوع الشابى » فابتسمت لما رواه لك من «مأساة » عنوان مقالة الاستاذ بويحيى وماحدثه عنك من امر تلك « المحنة » اذ كنت قد شاهدت بعينى رأسك انه خصم جزء منه فختم على ذيله الذى هو « أوجناية الرابطة الثقافية على الادب » بخاتم شفاف • وقد كنت ذهبت فى تأويل ذلك المذاهب وتكهنت فى سبب ذلك التكهنات •

الا ان ابتسامتك نغصتها عليك مرارة قاسية اذ ذكر لك الدكتور محمد فريد غازى ان الاستاذ بويحيى « تراجع » فى امر ذلك العنوان قبل ان يخرج المقال ففضح لك الدكتور ما فضح من امر الضغط الذى « تنبأ » به بويحيى فى مقالته والذى ليس اشنع منه ضغط لانه يكبل الفكر حتى يميته كما تمات الزهرة التى ينقطع عنها الماء •

ثم انك أسفت اذ شاهدت الدكتور محمد فريد غازى قد آثر على اللياقة فى الرد والتزام قواعد النقد العلمى الصحيح عبارة الشتم وبذاءة الهجاء فى نيف صفحة هى نصف المقال او يكاد •

فأسفت على ما قد يدعو اليه الغرور من غى باظهار الباطل مظهر الحق وهتك حرمة النقد الحر و « تزييف » لمبادىء الرد النزيه •

ثم انك لم تأسف فحسب على ما أسفت عليه من ذلك الباطل بل استأت كما ينبغى ان تستاء عند الطعن فى الحق والفتك بحرمة حرية الفكر •

وانك لتصرخ فى اذن الدكتور محمد فريد غازى هاديا الى الصواب ؛ أيا دكتور ما كان النقد سبا ولا تعييرا بل كان فنا وما كان الشتم من شيم الادباء وما كان السب مما يليق بحرمة « الدكتوراه » • ثم انك ايا دكتور كنت ناصرت حرية الفكر ودعوت اليها وتعلمت مبادىء النقد السليم فما بالك هفوت تلك الهفوة وما بالك وقعت ذلك الموقع •

فبالله عليك يا دكتور عد للجاحظ وطالع مقدمة كتاب الحيوان ان لم تكن طالعتها قط وشاهد بعين قلبك لابعينى راسك كيف رد على من انتقد كتبه ردا قد يعلمك الرد ويطلعك على ما لفن النقد الادبى من اصول ومقاييس وما لحرية الفكر من حرمة وقداسة •

« فابعدك الله ، يادكتور ، عن الغرور والغى وجنبك النفاق والبهتان وانار بصرك بنور الحق وابرد قلبك ببرد اليقين • • • »

« ولقد يكبو الجواد » فليتك يا دكتور ذاك الجواد ! !

فرحات الدشراوى

شخصيتنا الأدبية وراء الأضواء

بقلم فرج الحجوب

• • • فـي الفصل الماضي (1) وضعت امام القاريء بعض الخطوط العامة التى تكشف له عن هذا الافلاس الفكرى الذى يتخبط فيه الاديب التونسى منتجا ومستهلكـا • وان كنت فى وضع هذه الخطوط غير محدد ولاضابط بالمعنى الصحيح بحيث جعلت هذه الازمة تدور حول مفاهيم هى :

1) الكسل الفكرى التلقائى الذى يعايش بعض ادباء الساعة •

2) عدم التشجيع ، سواء من القراء الذين لايزالون يعتبرون البضاعـة التونسية بضاعة خالية من الروح غير دسمة ولا مركزه فانقلبوا عنها زاهدين فيها الى نتـاج شرقى يومنون بتجاوبـه وعمقه ورشده • او كان عـدم هذا التشجيع من الدوائر المسؤولة التى ضنت على الاديب الصاعد الذى يجد من نفسه حماسا للانتاج والتأليف سواء فى القصة او الشعر او المقالة • ضنت عليهم بوسائل الاعانة الميسورة لديها ماديا وادبيا ، خاصة اذا كانت ظروفه محدودة بحيث لايزيد عن انه مواطن بسيط ليس له من مدخوله ما يرصده لدور النشر التى اتخذت من الشطط اعلى قمة فكانها والمستهلك قد اتفقا على قبر امثال هؤلاء الذين تؤلمهم حـالة الادب بديارهم ، وتؤجج فى صدورهم نـار الحماس والاندفاع •

3) اما ثالث المفـاهيم فهذه التيارات السياسية التى تتقاذف الواقـع العربى عموما وتونس على الخصوص فشلت حركة الفكر الادبية اشلالا قصريا أندفع فيه الاديب عن غير طواعيه منه ، بل هو فى اندفاعه نحو هذا الاشلال والتخدر فى اعصار من نفسه ، واعصار من ضميره ، واعصار من تاريخه ، ولكن واقعة الذى يحياه شده اليه ولـم يترك ضئالة من تفكيره يستطيع به قضاء الواجب واداء الرسالة • هذه عـلى العموم جملة المفـاهيم التى جعلت البحث الآنف يدور عليها ومع ذلك فلا انفى مطلقا ان للمشكل بعض اوجـه اخرى قد لايتسع لها هذا الفصل المتواضع المحدود ، ولكنى على آية حال اعتقد انها محاولة تلقى بعض الاضواء ولو على جانب بسيط منه ، ومن ثمة ارى بان المفاهيم الثلاثة قـد تجمعت على وضع الحركـة الادبية مـوضع الاستنقاص والضعف ، لا موضع السالبية المطلقة والفقدان التام • اذ هناك فرق كبير بين موجود يأخذ مكـانه من حيـز التاريـخ ولكنه عليـل ينتظر مصل الحكيـم ليقوى على القيام ويقوى عـلى السير ، ويقوى على الاندفـاع فى معترك هذا الوجود الجبار ، وبين سالبية فانية وفراغ مهول نحاول ايجاده وبعثه منسرمدى العدم الى دنيا الناس هذه • والادب فى تونس من النوع الاول بلاشك غير انه

(1) راجع الفكر ــ السنة 5 ــ العدد 3

بالاضافة الى هزاله وضعفه فرواده قليلون قلة الشعور بالعالم الـروحي في عصرنا هذا واصدق مثال لذلك كلمة ميخاييل نعيمه الاخيره « لم يخلق ادبنا العربي الحديث نموذجا حيا للانسان العربي » وهكذا كان مطلع هذا القـرن مطلع تحول لطاقة التفكير البشري وتغييره عن عالم الفكر والعاطفة الى دنيا من المادة والتصنيع فانصرفت فيه همة الثقافة الى خلق جيل مادي لايؤمن بمظاهر القلم ، وليس له من نفسه وعواطفه مكان لها . وله الحق مادامت موازين الناس في الحياة قد قطعت اشواطا شاسعة في هذا الطريق ، ومادامت سنة التطور وحبّ البقاء يفرضان ذلك لامحالة ولكن الامة الخالدة العظيمة في نظري هي تلك التي توفق في الجمع بينهما . لاتهمل جانب المادة الذي اصبح معيارا لتوازن القوى بين الشعوب ؛ ولاناحية الروح التي تعتبر من اقدم العصور وفي مختلف المعتقدات الاشعاع الثابت للتوجيه والايحاء الموفقين ، ولذلك جاء القرآن مليئا بالحث على الجمع بينهما ، ونحن باعتبارنا جزء من الامة الاسلامية التي يتصل تاريخهـا وحضارتها اللغوية بالزمن اتصالـه بالقرآن . بل ونحن كجزء من المغرب العربي الكبير لنا طابعنا الخاص في المنهج والاسلوب والتفكير متحتم ايضا ان يكون لنا كياننا الخاص في الانتاج الفكري من نثر او شعر ، وهو ما اقصد بالشخصية الادبية ، وهو ايضا ما حصرته حصرا تقريبيا في الكتاب ، والقـارىء (1)

والكاتب في ظروفنا الحاضرة احد اصناف ثلاثة : فهو

1) الكسول الذي استمرأ عيش الحيـوان فلبسها ولبسته ، وأنسهـا واستأنست به ، فعاف العمل ، وتنكر للانتاج والكد ، واسترخى بكل كيانه الى حيث الراحة المتواصلة ، والحياة الراكدة الجامدة على رأي غنيم :

« حياة كسطح الماء والماء راكد فليس بها شيء يسر ويـؤلم »

وهؤلاء مـع الاسف يمثلون جماعة كبيرة قـد تكون اكبر الثلاثة كما أصيب بهم شعبهم في ظرف هو احوج ما يكون اليهم ، ولعلك تسألني قارىء الكريم عن الدوافع التي جعلت امثال هؤلاء يستمرؤون عيشهم ذاك ويحطمون اقلامهم في غير اسف ، ويتخلون عن الكتابة والتاليف اختيارا ؟

والجـواب قد يكون عسيرا في سطور كهاتـه . اذ يـدفعنا الى تحليل نفسي ، والى اقيسة خـارجية ، قد تلعب في هـذه الاقيسه ظـروف الاديب المتغيرة دوما واستمرارا ، وظروف تكوينه العام من البداية بما في ذلك البيئة واسلوب التربية ونوع الثقافة . ويرغمنا ايضا على الاحتكاك بالمذهب الذي يجعل الوفرة المادية ورغد العيش اعظم دافع للاديب نحو الخلق والابتكار ، او الى نقيضه الذي لايطلب للاديب في الظروف القاسية المريره التي يكون فيها على خصاصة من العيش ومضض منه ، ويجعل هذا المذهب قاعدة الحرمان والبؤس هي آية الايات لخلق روح الانطلاق والابداع في نفس الاديب – اى اديب – . وطبعـا يلزمنا كل من المذهبين الوقوف عنده طويلا ، وقوفـا فيه من العرض

(1) راجع الفصل الماضي

والتبسيط والمقارنة ، والنقد والاستنتاج مـا يحول كلمتنا هذه عن مبدئهـا الاقتضابى المرجو ٠

، والذى اؤكده ان امثال هـؤلاء هم خطر على شعوبهم وعلى نفوسهم ٠٠٠

خطر على شعوبهم خطورة الجندى المسلح الذى يقف معربد الاحساس ميت الحـركة فى حين ينهش العدو عرضه وماله وخطر على نفوسهم لاقدامهم ـ واسرارهم فى هذا الاقدام ـ على الخيانة ، خيانة الرسالة ، واى رسالة اعظم من رسالة الفكر ؟ واى تكليف اشق على النفس من تكليف المبادىء الروحية يبعثها الرجل العظيم فى الاجسام الميته فاذا هى اشعاع من النور ، واشعاع من الحق ، واشعاع من الهداية ، واشعاع من اليقين ٠ واذا هى مزيج من ذلك كله ، واذا هى ادب حى خالد ، واذا صاحبها يرتفـع ليكون عظيما فى قلـوب الاجيال وصفحات التاريخ

2) اما الصنف الثانى فهم جماعـة لايستقرون على حـالة من التفكير ، ولاتعجبهم أية ظاهرة من ظواهر شعبهم ؛يعمش النور ابصارهم ، اذا عانقت امتهم فجرها المنتظر ، ويسأمون السير فى الظلام ؛ وينقمون على الاقدار ان بدات حجارة الظلم ترميهم بقواذف سخطها ٠٠ فهم ثائرون فى الحرب والسلم وهم غاضبون على الضياء والظلام ٠ هم دائما كما هم ٠ وحيث هم ٠ ناقمون كافرون ، وساخطون غاضبون ، ولكن هذه الثورة ، وهذا الغضب والكفران ، هى آهات فى الاعماق ، وهى بالتالى لاتتجاوز حدود نفوسهم القاصرة فهم فى نظر نفوسهم ـ الادباء الثائرون او النقاد الساخطون ؛ وهم فى نظر التاريخ وعقلاء الفكر ناعقون معربدون ، لايـزالون فى شك من وجـودهم فيحاولون اثباته بهذا الهراء السخيف ، ولايزال تفكيرهم بكرا لم تفضه تيارات الوجود بأحداثها ٠ هذه التى بين مدهـا وجزرها شر الخلق ، وشر الابداع ، وشر الخلود ، نصيبهم من صراع الحياة قهوة يمزونها بشفاه نهمة ، وشعر يصففونه اشكالا وضروبا ، وعرض يمزقونه ويهتكون ما ستر الله منه بين نقد موهوم ، وتعريض مكذوب ، حتى اذا سئلوا عن مواقفهم من التاريخ اجابوا فى غير حياء « دنياكم هزال وعبث ، دنياكم رياء ونفاق ، واقعكم حمة هستيريه سيعقبها موت ٠ والعباقرة اسمى من التأرجح فيها !»

ومادروا انهم الهزال والعبث نفسه ، وانهم الرياء والنفاق عينه ، وانهم الهستيرية العارمة فى دمـاغ الامة ، ملئت نفوسهم مرضا وادعـا ، فهم بين الحياة والموت مترنحون ٠ وهو قلة والحمد لله ـ ومع ذلك فلا انكر خطورتهم

خاصة اذا كان بعضهم يتمذهب سياسيا بالديماغوجية الحاربه التى صورت لهم حركة الفكر النبيلة فى شكل سكين حاد يطعنون بـه سير الامـة نحو النمو والاكتمال ، وليس لهؤلاء غير السحق بالاقدام دون اشفاق حتى يبقى للشعب طريقه النظيف الذى رسمه على جماجم ابطاله الابرار وحتى يواصل مشيه فى مضمار الثقافـة والفكر بنفس الخطى ، ونفس العزيمة ، ونفس الايمان الذى مشى به فى اندفاعاته نحو الانشاء العظيم ، والخلق الاكبر ٠

3) ويبقى النوع الثالث من الكتاب وهو يتلخص فى رجل الساعة الذى آمن قبل كل شىء بتحول التاريخ وتبدل السحنات ، والذى آمن بعد كل شىء بايجابيته ازاء هذا التحول والتبدل ، وآمن الى جانب كل ذلك بانه محاسب فى لحظة ما من لحظات التاريخ الرهيبة على ايدى جيل صاعد لايعرف غير الحق واليقين ، وغير العمل والصدق ، يخلد ماطهرت نفسه ، ونظف لسانه ، وحرك قلمه يخط لهم مجدهم وتاريخهم وعـزتهم ، وينثر فى مهب العاصفة المهملين القاعدين ، او الساخطين القانعين بسخطهم نثر اللعنة على الشفاه الكافرة ٠ وهذا النوع من الكتاب هـم شعراء ، وهم باحثون ، وهـم قصاصون ، بيد ان النوع الاول منهم قد كشف عن قوته وكثرته كما وكيفا ، وبين فى مناسبات عده مدى تفاعله بالاحداث وتأثره بها ، ومن بين هؤلاء الذين اذا ذكر تاريخ الثورة التونسية ، وذكر ابطالها الصرعى فى الميدان ذكروا هم ذكرى الاعتزاز والفخر ايضا من بين هـؤلاء الاساتذة : النقـاش ، والباجى ، والشعبونى ، وعطاالله وغيرهم ممن ساتحدث عنهم ، وعن الروح التى سجلوا بها مواقـع الصراع العنيف ، والنصر العظيم ، والافراح المتتالية فى آحاديث قـريبة ان شاء الله ٠٠٠ وهؤلاء النوع من الادباء هم الصفوة عندى ، وهم واجهـة الفكر النيره التى مثلت بحق هذا الانقلاب الاعجازى الخالد ٠٠ مثلت شعور الآمـة وأحاسيسها وسجلت للتاريخ أنصع صفحة وأنقاها سيبقى تاريخ الحرية والكرامة فى تونس مقرونا بها مـا بقى للحرية والكرامة تاريخ ٠ وعند هـؤلاء فقط وجدت الامة صوتها الصريح الذى تحدث به ظروف الزمـان والمكان الى حيث البناء الذى لايعتريه هدم ولاتقويض ، واذن فنحن عندما نتحدث عن الادب والادباء فانما نجمل القول واجمالنا له قرار صريح من وضع الاشياء مواضعها ٠ والآن وبعد هذا التقسيم المركز اعتقد اننا اشرفنا جميعا على نقطة الانطلاق ، واصبحنا نميز اى نوع من الادباء نقصد ، ولكن استنتاجنا هذا ــ اذ كان صحيحا

وهو ما اعتقد ـ يبقى ابتر من حيث انه لايمثل الانوعا واحدا من الانتاج واعنى به الشعر ، فأين ادبـاء القصة ؟ واين ادبـاء البحث او المقالة ؟ ذلك مانرجو مخلصين تحسسه فى ظرف قريب اذا هيأنا له الجو الملائم من تشجيع وتوجيه ، واستهلاك ، ونقد صحيح ، واذا بقى رجال القافلة منشعرائنا يواصلونانطلاقهم ذاك لما فيه من تجارب روحى عميق بين الادبـاء عامة شعراء كانوا ام ناثرين وقصاصون هم او دارسون ، بحيث طبيعيا تتفاعل الانواع مع بعضها ويؤثر الجزء منها فى باقى الاجزاء • فاذا كانت هناك نهضة شعرية فلا شك ان ستتبعهـا نهضة فكرية عامة سواء فى ميدان القصة او المقالة ، لذلك اميل الى الاعتقاد بان التفاعل موجود لاريب فيه غير ان ظهوره يرجو منا اعانة بسيطة تتمثل فى تيسير وسائل النشر والطباعة من جانب واستهلاك السوق من الجانب الآخر وآنئذ تكـون شخصية الادب بتونسقد تمركزت اعمق تمركـز وازالت عن وجهها النقاب الخبيث الذى طالما اخفاها عن الاعين وطالما حجب جمالها وروعتها عن مواطنيها ليتعصبوا لها ويقبلوا عليها اقبالا فيه من التشجيع مايدفع عـلى المزيد ، وفيه من الرواج ما يولد فينا جميعا صفة الاثرة والاعتزاز بكل انتاج محلى مهما كان وايا كان •

والخلاصة : ان وجه تونس الادبى الحديث لايزال فى غموضه وابهامـه ، وهو يتطلب منا قراء وناشرين ، ادباء ورؤوس اموال عملا شاقا وكدا عظيما ليس بغيره نستطيع ان نجعل تراثنا الادبى يرتفع ويسمو بالقدر الذى اصبحت تتمتع به تونس السياسية ، وتونس الاقتصادية فى نظر الشعوب عـامة من تقدير واحترام ، وانه لمن دواعى الفأل ان ملامح هذه الشخصية يزداد يومـا بعد يوم وضوحا وتبلورا ودور « الفكر » هنا العمل على الزيادة من هذا الوضوح والتبلور بدفع اكثر مايكون من الأقلام الناضجة نحو الميدان ، وبالدعوة الصادقة الى تجنيد القراء نحو الاقبال والعطف على كل انتاج محلى •

فـرج المحجوب

أضواء الفكر

• النشاط الثقافي في تونس

نشط موسم المحاضرات هذه السنة نشاطا ملحوظا • فبعد ما أشرنا اليه في عددنا الماضي من نشاط اللجنة الثقافية وجمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية علمنا أن نادي عزيزة عثمانة دعا السيدة فتحية مزالي ، مديرة دار المعلمات ، الى القاء محاضرة حول تحديد النسل وقد أثارت هذه المحاضرة شتى التعاليق ، ولعل أطرفها ما جاء في جريدة « الاستقلال » (الجمعة 25 ديسمبر) بامضاء « أبو ثمانية » ! ونأمل أن ننشر النص الكامل في أحد أعدادنا المقبلة •

أما ما أعلنا عنه حول نشاط جمعية قدماء الصادقية فقد تم فعلا ، وبعد محاضرة الاستاذ عثمان الكعاك ألقى الدكتور محمد فريد غازي « حديثا » عن الشاعر الفرنسي « أبولينر » كانت محل نقاش وتعاليق في جريدة « الصباح » الغراء • وفي يوم 18 ديسمبر ألقى الاستاذ الشاذلي بويحيى محاضرة قيمة حول : « أبو القاسم الشابي والشاعرية الحق » حضرها جمهور غفير من الادباء والطلبة ، وقد أبدع المحاضر وافتك اعجاب الحاضرين بوضوح أسلوبه ومتانته وطرافة معانيه وعمق تحليلاته وخصوصا بموضوعية البحث وأصالته •

وبلغنا أن سلسلة المحاضرات التي أعدتها هذه الجمعية ضبطت على النحو التالي :

يوم 8 جانفي : « في الشعر الاندلسي » يلقيها الاستاذ المنجي الشملي

« 15 جانفي : « اللغة العربية والالفاظ الاصطلاحية » يلقيها الاستاذ المنجي الشملي

« 22 جانفي : « الدين بين اثنين » يلقيها الاستاذ البشير العريبي

« 29 جانفي : « التربية التونسية في الامثال العامية » يلقيها الاستاذ البشير الزريبي

« 5 فيفري : أبو بكر بن باجة : « نقطة انطلاق في الفلسفة الاسلامية بالاندلس » يلقيها الاستاذ المنجي الشملي

ثم يليها محاضرات للاساتذة : عبد العزيز ادريس والحبيب زغندة وحسن الزمرلي وغيرهم •••

. أما اللجنة الثقافية فهي تواصل نشاطها ، من ذلك تنظيم المحاضرات التالية :

— المشاكل البشرية في جنوب ايطاليا : ألقاها الكاتب الايطالي •1 سيلون

— الطاقة النووية : ألقاها الاستاذ الدلاجي

ـ مع التجاني في طرابلس : ألقاها الاستاذ عثمان الكعاك

وقد ألقى الاستاذ المبرز فرحات الدشراوي محاضرة أخرى عن الادب الفرنسي بنادي الاتحاد العام لطلبة تونس ٠

وعلمنا بمزيد السرور أن عاصمة الجنوب تهب عليها في هذه الاونة ريح الادب والثقافة ، وقد نشط الاتحاد الثقافي الصفاقسي وخاصة لجنة المحاضرات التي يرأسها صديقنا الشاعر الاستاذ محمد الشعبوني ، فنظمت عدة محاضرات قد نذكر تفاصيلها في أعدادنا المقبلة ٠

وهكذا يتبين القارىء معالم هذه النهضة الادبية التي تحمل لواءها مؤسساتنا الثقافية العتيدة الى جانب الصحف اليومية والمجلات كالشباب والاذاعة وفائزة والمسرح والفكر ٠ فعسى أن يثابر الجميع وأن يستغلوا هذه الحرية الفكرية الشاملة وهذا العطف الذي يشمل به أولو الامر بهذا الوطن العزيز الادب وأهله ٠ بذلك يزدهر الادب وتعم الثقافة ٠

◆ الفكر والادب

جاء في عدد ديسمبر الاخير من الزميلة « الاديب » الغراء هذه الكلمة اللطيفة عن الفكر : « دخلت مجلة ـ الفكر ـ التي تصدر بتونس سنتها الخامسة وهي كالعهد بها تسير بخطى ثابتة وتتحف قراء العربية بالدسم من الابحاث ، وقد أصدرت بهذه المناسبة عددا خاصا عن « دور الجامعة في المجتمع » كما أصدرت أيضا عددها الثاني خاصا « بالثورة الجزائرية » ٠

أخلص التهاني للزميلة الكريمة ٠

◆ مشاركة تونس في مؤتمر عالمي

انعقد في الشهر المنصرم اجتماع جامعي تحت أشراف « اليونيسكو » للبحث في « ما تقدمه العلوم الاجتماعية في سبيل النمو الاقتصادي » وقد شاركت فيه الدول الاعضاء الواقعة على البحر الابيض المتوسط : (اسبانيا ، فرنسا ، ايطاليا ، اليونان ، تركيا ، ايران ، اسرائيل ، المغرب الاقصى ، تونس) وكان الوفد التونسي متركبا من خمسة أساتذة برئاسة السيد الهادي نويرة ٠

وشارك وفدنا في أشغال هذا المؤتمر مشاركة فعالة وقدم أعضاؤه تقارير حول الحالة الاقتصادية والاجتماعية الراهنة ٠

◆ زيارة لطيفة

أنسنا بزيارة المستشرقين الكبيرين « بلاشير » و « بارك » وقد جرى حديث طريف ممتع بين كل منهما وأسرة المجلة حول مشاكل اللغة العربية والاتجاهات الادبية في الادب العربي المعاصر كما تبودلت الآراء في واقع الادب التونسي ومستقبله ٠ فأهلا بالاستاذين الكريمين وشكرا ٠

◆ سمي الدكتور محمد فريد غازي أستاذا للبحوث بمعهد الدراسات العليا وكلف بمهمة في المعهد القومي للدراسات والنصوص والوثائق ٠

◆ ألقى الاستاذ بارك عن « مكانة العلوم الاجتماعية فى العالم العربى » ، محاضرة ، أرادت جلب أنظار التونسيين الى مكانة العلوم الاجتماعية فى بحث شؤون الانسان الحديث فى البلدان المتقدمة ، والى حاجة البلاد العربية وخاصة تونس فى مرحلتها الحاضرة الى مثل هاته العلوم • ولقد حلل الاستاذ بارك النهضة التونسية الحالية وعواملها ، وبدأها من أواخر القرن 19 مع قبادو والوزير خير الدين ، تلك الحركة الاصلاحية التى سبقت حركة اصلاح الافغانى وعبده ورشيد رضا • ثم تعرض الى المرحلة القومية فحلل أطوارها ، ثم أشار الى المشاكل العويصة التى تعترض « تجربة الاستقلال » فى ميدان المجتمع ، وأهمية هذا الطور : ازدياد السكان ؛ مشكلة التأخر الاقتصادى ؛ مشاكل الانتاج الخ •••

◆ اشترت كل من ألمانيا وأمريكا وأنقلترا ويوغسلافيا وايطاليا حقوق ترجمة كتاب للشاعر الروائى الفرنسى الكبير Louis Aragon بعنوان : « الاسبوع المقدس » •

◆ قامت دار Hachette للطباعة والنشر باستفتاء بين القراء فى أربع مقاطعات من شمال فرنسا • وكان السؤال الآتى من بين الاسئلة الواردة فى هذا الاستفتاء :

كيف تختار الكتب ؟
واتصلت الدار بهذه الاجوبة • يقع الاختيار بناء على :

1) وفاء لكاتب ما وتعلق به
2) نصائح باعة الكتب
3) نصائح الاصدقاء
4) فن اخراج الكتاب وتقديمه

◆ لقد بيعت فى الولايات المتحدة تئاليف الكاتب المسرحى الامريكى Samuel Beckett بنسبة مائة ألف نسخة من كل تأليف له •

◆ وضع الكاتب الشاعر الروسى Boris Pasternak كتابا بعنوان « جواز » « Sauf conduit » اعتبره بعض النقاد أفضل من روايته Le Docteur Jivago التى أنالته جائزة نوبل العالمية لسنة 1959 •

◆ **جامعات ألمانيا الغربية تضيق رحابها بالطلاب**

تضاعف عدد الطلاب الاجانب ـ 12 الف طالب ومتمرن من الاقطار الاسيوية الافريقية

ـ بلغ عدد الطلاب فى جامعات ومعاهد ألمانيا الغربية العليا خلال الفصل الدراسى الشتوى السابق 186 الف طالب منهم 19 ألف

من الاجانب • وقد ارتفعت اليوم نسبة الطلاب الاجانب فيها الى الضعفين مقابل عام 1954 وكانوا يكونون 5 ٠/٠ من مجموع عدد الطلاب بالمانيا الغربية حينذاك • وقد لوحظ خلال السنوات الاخيرة تدفق على الدراسة فى جامعات المانيا الغربية من قبل الطلاب الاجانب من شتى اقطار العالم ، واخذت تقفز أرقامها بسرعة كبيرة • ولم يكن يتعدى فى عام 1952 ، أى العام الذى بدأت فيه الجمهورية الاتحادية بانشاء علاقاتها مع الخارج ، لم يكن يتعدى عددهم الـ 2400 طالب من مجموع 113 الف طالب كانوا يدرسون فى جامعاتها المختلفة ثم ارتفع فى عامى 1955 ــ 1956 الى نحو 6900 طالب الى ان وصل فى عامى 1956 ــ 57 الى 9650 طالبا اجنبيا من مجموع 141 الف طالب •

وقد اصبح من المتوقع الآن ان يبلغ عدد الطلاب فى المانيا الغربية فى العام القادم 210 الالف طالب ، يرافقه ارتفاع نسبى فى عدد الطلاب الاجانب • ولاشك انه سوف تضيق قاعات المحاضرات فى جامعات المانيا الغربية ومعاهدها العليا برحبها عن استيعاب هذا العدد الكبير من الطلاب ، مما يستلزم ايضا رفع عدد الاساتذة لكى يتلاءم مع زيادة عدد الطلاب واضافة مخصصات جديدة الى مخصصات مؤسسة « هومبولد » التى تعنى بدراسات الاجانب فى المانيا الغربية وتقدم اليهم المنح الدراسية • ويبلغ عدد الاقطار التى ينتمى اليها الطلاب الاجانب فى المانيا الغربية اليوم 104 اقطار ، وياتى الطلاب الايرانيون فى طليعة الطلاب الشرقيين من حيث العدد (2687 طالبا) وقد ارتفع عددهم منذ عام 1954 بمقدار الثلاثة اضعاف • ويعقبهم طلاب الج • ع • م • (1331) ، وقد زاد عددهم خلال نفس المدة بمقدار العشرة اضعاف • وهناك عدد كبير من الطلاب الاتراك والعراقيين واللبنانيين والباكستانيين والهنود والاندونوسيين الذين يدرسون فى معاهد المانيا الغربية العليا ايضا • ويلاحظ نمو سريع فى عدد الطلاب القادمين من القارة الافريقية ويقدر مجموع عدد الطلاب الاسيويين والافريقيين فى المانيا الغربية حاليا بستة آلآف طالب ، ويدرس اغلبهم الفروع الفنية والعلوم الطبيعية • يضاف الى ذلك 6 آلآف من المتدربين والمتمرنين والصناعيين الذين ينتمى نصفهم للج • ع • م • ــ ويقدر حاليا عدد الطلاب والمتمرنين الصناعيين القادمين من البلدان الشرقية بـ 12 الف شاب يتوزعون على جامعات ومصانع المانيا الغربية • ومما تجدر الاشارة اليه ان عدد الطلاب اليونانيين قد ارتفع بمقدار الستة اضعاف بالنسبة للماضى ووصل الى 2432 طالبا الآن • وهناك 1681 طالبا من الولايات المتحدة يقابلهم 48 طالبا فقط من بلدان الكتلة الشيوعية (اغلبهم من البولونيين) ، و 154 طالبا صينيا • هذا ويوجد فى المانيا الغربية ما يربو على الف طالب مجرى اغلبهم من اللاجئين • ولا يقل عدد الطلاب النروجيين عن 1235 طالبا •

ويدرس 5700 طالبا أجنبيا أو 30 0/0 من مجموع الطلاب الاجانب فى المانيا الغربية فرع الطب ، و 2700 طالبا او 14 0/0 فنون الهندسة الميكانيكية والهندسة المعمارية • وقد هبط عـدد الاجانب الذين يدرسون الفلسفة من 16 الى 11 بالمائة ، وهذا الهبوط يتناول النسبة فقط لا ارتفاع العدد الذى بلغ حاليا 2100 طالب • ويتكاثف عدد الطلاب الاجانب بصورة خاصة فى جامعات مونيخ (3000) وهامبورج وبرلين الغربية وآخن •

◆ **بمناسبة افتتاح دورة معرض الكتب بمدينة فرانكفورت**

بلـــغ عدد الكتب التى تم عرضها فى دورة معرض الكتب الاخيرة بمدينة فرانكفورت ما ينوف عن 70 كتاب (1958 : 60 الفا) •

بلغ عدد دور النشر التى اشتركت فيها 1600 دار ، منها نحو 700 من دور النشر بالمانيا الغربية • اما دور النشر الاخرى فقد كانت اجنبية • وبلغ عدد الدول المشتركة فيها 34 دولة (1958 : 25) • وقد تردد على المعرض عدد كبير من المؤلفين والنقادين وكبار الشخصيات المنتمية للاوساط الفنية والسياسية والاقتصادية •

وقدمت المانيا الغربية فى هذا العام 20 الف كتاب جديد مقابل 17 الفـا فى العام الماضى •

يعيش اليوم فى المانيا الغربية 60 الف شخص من بيع الكتب والمتاجرة بها • سوف تبلغ قيمة الكتب المباعة فى المانيا الغربية فى هذا العـام مليار مارك • ارتفعت قيمة مبيع الكتب فى المـانيا الغربية فى اعوام 1954 ــ 1958 بنحو 30 بالمائة ، وصعدت فى العام الماضى بنسبة اضافية قدرها 11 بالمائة ، ثـم بــ 4 بالمائة خلال الاشهر الثمانية الاولى من العام الحالى •

ارتفع عدد الكتب الجديدة التى صدرت فى المانيا الغربية فى هذا العـام بمقدار 20 بالمائة بالنسبة للعام الماضى •

بلغ فى عام 1958 ثمن الكتب التى صدرتها المانيا الغربية الى الخارج 179 مليون مارك ، اى بزيادة 12،4 بالمائة بالنسبة للعام الماضى •

ارتفع عدد البلدان التى صدرت اليها المانيا الغربية الكتب من 91 الى 101 ونمت حركة التصدير فيها خلال المنتصف الاول من هذا العام بنسبة 20 بالمائة

كانت نسبة استيراد المانيا الغربية للكتب من الخارج اقل من تصديرها لها ، غير ان عدد الكتب التى ترجمت فيها للغة الالمانية ارتفع بزيادة 44 بالمائة ووصل الى 2182 كتابا •

بلغ عدد الكتب الالمانية التى نقلت الى اللغات الاجنبية فى هذا العام 2474 كتابا ٠

قدمت المانيا الغربية فى دورة معرض هذا العام 20476 كتابا جديدا ، وقدمت المانيا الشرقية 6205 كتب ، اى ما يبلغ مجموعه معا 26681 كتابا ٠ وهذا رقم يقرب من الرقم القياسى الذى ضربته المانيا فى عام 1927 ، فقد صدر فيها خلال 27558 كتابا جديدا ٠

ارتفعت اثمان الكتب فى المانيا الغربية منذ عام 1951 بنحو الثلث ٠

لوحظ ازدياد دور النشر التعاونية الاوروبية التى تصدر مطبوعات مشتركة ، كما لوحظ ارتفاع عدد « الاسطوانات الادبية » التى تسجل عليها قطع الدراما الشهيرة والقطع الشعرية والقطع الكلاسيكية الغنائية والفلسفية والنقدية ٠

سوف يطالع القراء فى ألمانيا الغربية فى هذا العام تاليف جديدة ترجمت لمؤلفين اجانب الى الالمانية كقصة « الفهد » للكاتب توماس لامبيدوسا و « لوليتا » للكاتب الامبركى الروسى ناباكوف ، و « الريح » لكلود سيمون وبعض القصص الجديدة لجراهام جرين ، وجمس جونس ، وكيرواك من البلدان السكسونية ٠

وظهرت بالمانيا الغربية كتب جديدة لكبار كتابها مثل ر ٠ ها جلشتانجه وكارل تسوكمايو ، و هـ ٠ بول ، وف ٠ ريتشرد ، وس ٠ اندروس ، و اى ٠ كرويدر ، وهـ ٠ شتال ، وغيرهم من الكتاب الاخرين ٠

تأتى ألمانيا الغربية اليوم فى الرتبة الثالثة بعد الاتحاد السوفييتى واليابان من وجهة انتاج الكتب ٠

◆ جوائز « بولتزر » للصحافة والاداب

جائزة بولتزر التى توزع كل سنة على المجلين فى حقول الصحافة والادب والموسيقى فى الولايات المتحدة الاميركية وهى من هذه الهبات التى اوقفها فى هذا السبيل صحافى جاء الولايات المتحدة يافعا فقيرا لايملك شيئا ويجهل اللغة الانكليزية ٠

وهذا الشاب الموهوب هو جوزيف بولتزر احد الرواد فى حقل الصحافة والعمل الصحفى فى اميركا والذى انشأ جريدتين هما اليوم فى مقدمة جرائد البلاد الكبرى واسهم فى تأسيس جائزة ادبية ، لها تأثيرها البالغ على الصحافة ومحترفيها فى تلك البلاد ٠ وقد اشتهر على الاخص بتأمين انتشار الجرائد اليومية فى حواضر البلاد الكبرى على نسبة عالية وبهذا الراى الذى تأصل فيه والذى يقول باستقلال الجرائد وابتعادها عن حرتقات السياسيين ومغامرات الدعاة والمعلنين وكل ضغط خارجى ٠

وقد شدد على وجوب الاعتصام بالدقة التامة واناقــة التعبير والاطلاع التام وحــارب بحرارة فى سبيل تأمين هذه الاهداف الرفيعة • فهو يعتقد وطيدا ان الغرض من الجريدة هو الدفاع عن حقوق الجماعة بفهم وترفع •

ان قصة جوزيف بولتزر هى قصة مـؤثرة للغاية اذ تروى لنا حكايــة شاب نشيط حاد الفؤاد متوقــد الذهن يتربص الفرص لتحقيق اهدافــه السامية • واعترافا بالنجاح الذى اصابه فى وطنه الجديد وقف من الهبات الطائلة تشجيعا للموسيقى والفن وخدمة للصحافة والادب فيها •

مات ابوه فى هنغاريا وله من العمر 17 سنة فراح يحاول بناء مستقبله فى احتراف الخــدمة العسكرية فيها • الا ان ضعف صحته وعيبا فى نظره حالا دون رغبته فهاجر الى الولايات المتحدة وهبط بوسطن عام 1864 وقام ببعض خدمات فى اعقاب الحرب الاهلية فيها • وبعد ان وضعت الحرب اوزارها راح يجرب حظه فى اعمال يدوية حقيرة وهو يتابــع درس اللغة الانكليزية ودرس الحقوق ونال شهادة المحاماة وقبل عضوا فى نقابة المحامين عام 1876 فى مقاطعة وشنطن •

وكان فى تلك الاثناء قد اخذ يراسل احدى الجرائد الصادرة فى مدينة سانت لويس فمال بكليته للصحافة واسس فى سنة 1878 جريدة « بوست دسباتس » فى المدينة ذاتها • واستطاع عام 1883 ان يشترى جريدة « ذى نيويورك وارلد » فاستحالت بين يديه جريدة كبرى من الجرائد العظمى فى تلك البلاد •

اما الجريدة الكبيرة فى رايه فهى تلك التى تكافح دوما فى سبيل التطور والاصلاح ولاتهادن فى الباطل او فى الفساد ، وتصلى الغوغائيين من اى حزب كانوا نــارا حامية وتناوىء الطبقات الممتازة وتطارد الذين يسرقون اموال الدولة • فهى لاتبخل بالعطف على الفقير وتبقى تنافح عن رفاهية الشعب ضد جشع الطامعين ولاتخشى فى الحق لومة لائم •

وقد وقف طيلة حياته الى جــانب هذه المبــادىء التى قال بهــا وعلم • وطالب بان تكون الحرية امرا واقعيا لا مجرد اسم بلا مسمى •

مات عام 1911 واوصى فى وصيته بوجوب انشاء مدرسة للصحافة فى جامعة كولمبيا كما انشأ منحا مدرسية توزع على النابهين من طلاب مدرسة الصحافة وانشأ جائزة تحمل اسمه توزع سنويا منذ عام 1917 على المجلين فى فى حقول الادب والفن والصحافة والتاريخ •

◆ **اصدرت** دار Gallimard للنشر كتابا للاديب الشاعر الرسام السنمائى Jean Cocteau بعنوان « Poésie critique » تضمن نصوصا شتى يتراوح تاريخ نشرها بين سنة 1922 و 1958 • وأشهر هذه النصوص عنوانه : « السر الصناعى » عرف فيه الكاتب الاسلوب الادبى بأنه « فن اتقان الرماية ••• فلكى نصيب المرمى ينبغى أن نسدد ضربات تارة بعيدة جدا وتارة قصيرة » •

◆ خصصت مجلة « الفصول الاربعة » عددا ممتازا للكاتب المسرحى Eugène Ionesco وهو أروج كتاب المسرح (باللغة الفرنسية) فى الخارج •

◆ **استقبلت** الاوساط الادبية فى اوروبا فى اعجاب شديد قصة الفها الكاتب السويسرى الشاب « فريدريك دورينمان » بعنوان « الخلل » : وهو من الكتاب الشبان القلائل الذين يحافظون على متانة الاسلوب الالمانى وبراعته فى التعبير عن الافكار والصور ــ والكاتب هو المانى الاصل ــ •

وموضوع القصة ان احد رجال صناعة النسيج فى سويسرا اضطر الى التوقف فى احدى القرى بسبب خلل اصاب محرك سيارته • فالتجأ الى منزل قريب ، كانت تقام فيه حفلة طريفة ، ترجع الى تقاليد تلك المنطقة ، وتتمثل فى ان يجتمع سكان المنطقة مرة فى العام ويستعرضون فى مشاهد تمثيلية ضاحكة أهم الاحداث التى تعرضت لها المنطقة ، وذلك من خلال محاكمات هزلية •

ويحدث ان يطلبوا الى « الضيف » الاشتراك معهم بعد ان يتناول العشاء ويكثر فى الظاهر من شرب الخمر ، ويمثل دور المتهم بجريمة اخلاقية ، فيعترف ، ويحكم عليه بالاعدام • لأن الجريمة كانت بشعة : اغراء زوجة رئيسه المصاب بمرض القلب ، ونشر هذا الخبر بين الناس لكى يسمعه الزوج الذى كان مقدرا ان يموت فجأة من هول الصدمة ، وبذلك يسهل اقتسام ميراثه الضخم ••• ويحسن « الضيف » تمثيل دوره ، ولكنه يتذكر انه حقيقة ، فقد حاول بذلك بالفعل ، واضطرته الخمرة الاعتراف به •

وعندما تنتهى الحفلة ويذهب الضيف لينام ، يسمع الناس صوت سقوط جسم فى غرفته • فقد شنق نفسه تنفيذا لحكم الاعدام •

◆ **نشرت** اخيرا ملحمة شعرية جديدة للشاعر الانكليزى جون ماسفيلد بعنوان « قصة اوسيان » وقد نظمها الشاعر وهو فى الحادية والثمانين من عمره وعنى فيها بالايقاع والقافية بصورة تلفت النظر • وقد ذكر الناقد الادبى لجريدة التايمز ان ماسفيلد يبدو فى هذا الاثر العظيم شاعرا عملاقا ،

ذلك لانه استطاع ان يحافظ على الصيغة الشعرية بصورة خالية من التصنع. وذلك من الامور الشاقة بالنسبة لهذا العصر الذى يضطر فيه الشعراء الى التخلى عن متانة العبارة من اجل الصور الحديثة والمعانى المضطربة .

واشار الناقد الى ان عبقرية هذا الشاعر تتجلى فى اتباعه الغريب لقافية الشعر العربى ، وهى اول محاولة من نوعها فى الشعر الاوروبى .

• **انشئت** جائزة ادبية جديدة باسم جائزة البرت شوتيزر ، وهى جائزة عالمية تمنح كل عام لاحسن قصة عاطفية ، وقد اراد شوتيزر بانشائها توجيه الادب المعاصر الى « القلب البشرى الذى يعتبر – كما يقول شوتيزر – اجمل ينابيع المحبة الانسانية » والمعروف ان شوتيزر هو نموذج للانسان العبقرى فى هذا العصر ، وتعتبر حياته نضالا مستمرا للتخفيف من آلام الاخرين ، وقد نال جائزة نوبل للعلوم وهو يعيش الآن بين اكواخ الابتدائيين فى افريقيا وقد اشار فى تأسيس هذه الجائزة الى ان الناس البسطاء هم مصدر لاينضب للبراءة والحب وعلى الادب ان يستقى من هذا المصدر مظاهر ابداعه .

• **اكرام « غوتنبرغ »**

سوف يتم فى عام 1962 افتتاح متحف عالمى لفن الطباعة فى مدينة ماينس المركز الثقافى الالمانى القديم ، وذلك بمناسبة الاحتفال بمرور الفى عام على تأسيس هذه المدينة . وسوف يعد المتحف المذكور داخل مبنيين من المبانى التاريخية القديمة ، وقد رصد مبلغ خمس ملايين مارك لاجل تحويلهما لهذا الغرض .

وقد كان يوهانس غوتنبرغ احد ابناء هذه المدينة ، من رجال التاريخ الافذاذ القلائل الذين ساعدونا على تطوير الثقافة الانسانية وتنشيطها مساعدة حقيقية ، ولهذا فقد جرى فىعام 1900 تأسيس متحف خاص به فىمسقط رأسه ماينس . وقد ظل هذا المتحف قائما بجانب كاتدرائية المدينة يزدهر تحت اشراف البروفسور آلويس روبل الى ان اتت الحرب العالمية الثانية فقضت عليه . ولكنه امكن لحسن الحظ نقل محتوياته الثمينة ومجموعاته النادرة الى مكان امين قبل تهدمه ، ثم نقلت بعد ذلك الى حجرات المكتبة الحكومية فى ماينس بصورة موقتة .

وقد جرى تشكيل لجنة مكونه منأعضاء فخريين للاشراف على تشييد هذا المتحف ، ويتكون هؤلاء الاعضاء من شخصيات عالمية معروفة مثل الكتاب التالين : ايريش كستنر ، ارنست همينجواى ، وجول رومان ، وكارل

تسوكماير ، ورئيس المجلس الوطنى النمسوى الدكتور ليوبولد فيجل • والنية متجهة لتجهيز المتحف تجهيزا يتفق مع وجهة اهتمام الزائر سواء كان من رجال الطباعة ام من مؤرخى تاريخ الادب ام من اساتذة الجامعات او رجال النشر • وقد تقرر ايضاً عرض المطبعة التى كان يعمل عليها غوتنبرغ نفسه فى الماضى ، بدمى تمثل الطباعين بملابسهم التقليدية فى عصور الطباعة الاولى • وسترى بين معروضات المتحف احدى مطابع الصحف فى القرن الثامن عشر وحجرة من حجر النسخ فى القرون الوسطى الى جانب طائفة كبيرة من الكتب القديمة والمخطوطات والادوات والوثائق التاريخية •

وقد كان يوهانس غوتنبرغ من عباقرة المخترعين الذى قضى حياته فى شقاء ويأس • وكان كثيرا ما يشكو ضيق ذات اليد واصيب بالعمى ومات فى 3 فبراير 1468 وظل قبره مجهولا كقبر الموسيقار العظيم موتسار وبعض العباقرة التعساء غيره • وما المتحف الذى يعاد تجديده فى مدينة ماينس اليوم الا احياء لذكراه واعترافا بأياديه البيضاء على الانسانية • وسوف تساهم مختلف فروع الطباعة فى هذا المتحف ، وسيكون من جملة المعروضات انجيل من طبع غوتنبرغ يعود تاريخه الى عام 1455 • وقد قلد بحروفه الخط الغوطى الذى كان يستخدمه الرهبان فى نسخهم تقليدا بالغا ، حتى ان فوست الرجل الخبيث الذى كان يقوم بتمويل عمل غوتنبرغ توصل مرة لبيع احدى نسخ هذا الانجيل بباريس كنسخة مخطوطة باليد •

• **المانيا الغربية** تقدم على تجربة جديدة تتناول نظام التعليم فى مدارسها

البدء باستخدام نظام « الخمسة ايام » للتدريس

فى الاسبوع فى ألمانيا الغربية

• **أخذ** ينتشر فى ألمانيا الغربية نظام العمل لمدة خمسة ايام فى الاسبوع فى المصانع والادارات المختلفة ؛ وطفق يفكر المربون باحداث تناسق هناك بين ايام عمل الوالدين وايام دراسة ابنائهم فى المدرسة خلال الاسبوع • وعمدت اخيرا بعض المدارس الالمانية وخاصة فى هامبورج الى حصر ايام تردد التلامذة على مدارسهم بخمسة ايام فى الاسبوع وتمديد العطلة الاسبوعية الى يومين : يوم السبت ويوم الاحد وكانت فى طليعة هذه المدارس مدرسة هامبورج ــ آلتونا التى عمدت الى تمديد ساعات التدريس التى كانت تقتصر على اوقات ما قبل الظهر الى ما بعد الظهر بعد استثناء يوم السبت من ذلك ، وصار يبدأ البرنامج الدراسى فيها فى كل يوم من الساعة الثامنة صباحا حتى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر • وتقع هذه المدرسة

فى قلب احدى غابات هامبورج الجميلة ؛ فيبدأ تلامذتها خلال ساعات قبل الظهر الاربعة بتلقى الدروس فى الفروع الرئيسية ، ويتناولون بعدها طعام الغذاء على الساعة الثانية عشرة فى قاعات التدريس مقابل دفع اثمان بسيطة عن وجبات الطعام الوفير • وبعد الانتهاء من الطعام مع استاذهم يخرجون للتفسح فى الغابة او يمارسون الالعاب الرياضية ، او يتزحلقون على الجليد فى فصل الشتاء او انهم يقومون باللعب او المطالعة داخل المدرسة خلال الاوقات الممطرة وتبدأ بعد الظهر ثلاث حصص للتدريس تدوم كل منها 40 دقيقة ، فينهمك التلامذة بممارسة الاعمال اليدوية الفنية المختلفة او انجاز واجباتهم المدرسية التى كانوا يؤدونها فى منازلهم فى الماضى • وقد لاقت هذه الطريقة الجديدة استحسانا كبيرا لدى ذوى التلاميذ الذين يشتغلون طيلة النهار • وتدل الظواهر على ان نظام التدريس الجديد هذا سوف ينتشر فى المانيا الغربية انتشارا كبيرا فى المستقبل للفوائد التى تجنى من ورائه ولاستغناء التلاميذ عن تادية واجباتهم المدرسية فى المنزل ، وامكانهم صرف عطلة آخر الاسبوع الطويلة فى قضاء وقت ممتع مع والديهم •

◆ **حول النشاط الادبى فى اميركا خلال عام 1958**

فـى الوقت الذى ينصرف فيه النقاد الفنيون لاستعراض النشاط الفكرى والادبى الذى تميزت به اميركا خلال عام 1958 يرى احد المعلقين على هذا النشاط ان من العسير عليه ان يختار من هذه الحصيلة الادبية لكثرة المستطاب المستجاد منها • فقد كان عالم الكتاب ومجال التأليف لدى الاميركيين مثيرا للغاية ليس بالنظر للناشرين وعدد الكتب التى لقيت رواجا عظيما فحسب ، بل ايضا للمستوى الادبى العالى الذى تحلى بـه هذا العدد الطيب من الكتب النـاجحـة •

وخلافا للمألوف والمتعارف معا ، فقد كان واحدا من الكتب التى صدرت فى السنة الماضية بين الكتب الاكثر رواجا ، ولو لم يكن من الكتب التى تتوفر فيها مقومات التوفيق والنجاح • فان بدت عبارة الكتاب المعنون : « تشريح القاتل » ضعيفة مهلهلة فالكتاب مـع ذلك يعج بالحركة والنشاط والمشاهد الواقعية الرائعة • والمؤلف « روبرت توافر » ليس سوى اسم مستعار يختفى وراءه المؤلف الحقيقى ، وهو جون ولكر احد اعضاء المحكمة العليا فى ولايـة مشيغن ، وله اسلوب ساخر لاذع • والكتاب يتحلى بالقدرة على الكتابة ومعالجة موضوعه بنجاح ويمتاز برحب الخيال وروح المباسطة والنكتة •

ومن جهة اخرى نرى فى فى رف الكتب الناجحة روايتين لروائيين هما من كبار كتاب القصة فى اميركا ، الا وهما جون مرقاند وجون اوهارا • وقد راح كل واحد منهما يحلل على طريقته الخاصة المقومات التى تقوم عليها سعادة الانسان وشقاؤه ، ولكن على طريقته الخاصة المفردة • وقد عرف مرقاند بدقة التحليل والغوص على اغوار النفس البشرية كما عرف بما فيه من روح ساخرة ونقد لاذع للمجتمع • فروايته : « النساء فى حياة توماس هارو » هذا الكاتب المسرحى الذى نراه يتأثر الى ابعد حد بثلاث نساء كتبها بما عرف به من أناقة وبراعة فى عرض حوادث القصة • اما اوهارا فقد تجلت موهبته على اتمها فى روايته « من فوق السطح » وهى رواية تقع فى نحو ٩٠٠ صفحة يصف لنا فيها قصة احد اثرياء الاميركيين ينفق ثروته الطائلة فى امور لاطائل تحتها فى المجتمع الاميركى • وفى القصة تبدو مقدرة اوهارا على ادارة الكلام وسط مشاهد مثيرة فى عمق وتحليل لم نره بلغ اليهما فى رواياته الماضية •

وبين الكتب الناجحة التى لقيت رواجا طيبا خلال السنة عدد من الروايات لعدد من القصاصين الاميركيين ومن بين هذا الفريق رواية « المعسكر العدو » لجيروم وايدمان وهى رواية جذابة مغرية يرسم لنافيها المؤلف صورة مشرقة لمناهضة السامية • وهو فى روايته هذه ليرتفع الى مرتبة كبار كتاب القصة فى اميركا اليوم • ومن هذا الفريق ايضا الكاتب الروائى الشاب فنس بورجيلى الذى يصور لنا فى قصته « المغتصبة » هذه الطبقة من الناس الذين يؤسفهم ان يتقدموا فى السن ويتغلغل فى وصف دخيلة انفسهم •

ومن بين الروائيين الاميركيين الذين لاقت مؤلفاتهم رواجا طوال السنة كاتبتان، سبق انراجت آثارهما من قبل، ايما رواج ، هما ادنافربر وآنياسيتن فقد وصفت لنا الاولى فى روايتها « قصر الجليد » المصاعب والويلات التى كان يتعرض لها ، فى مطلع هذا القرن ، سكان الاسكا فى مجالدتهم الاحوالالطبيعية القاسية فى تلك المنطقة القطبية • والطريف ان الرواية تظهر فى الوقت الذى تصبح فيه هذه المقاطعة ولاية من الولايات التى تؤلف الاتحاد الاميركى• وبمثل هذه المقدرة تحاول آنيا سيتن فى روايتها « السيدة ونثروب » ان تصف لنا ما كان من اثر فرقة البوريتنز فى مقاطعة نيو انكلاند هذه الفرقة المعروفة بصرامتها ومغالاتها بالتقيد بالتقاليد المرعية • وهى قصة امرأة تبحث عن الحرية بشىء من المغامرة فى العالم الجديد •

ومن بين المعالم التى تميز النشاط الادبى فى السنة المنصرمة فريق من المنشئين الشباب تميزت بواكيرهم الادبية فى القصة بالنجاح والتوفيق ٠ ويأتى فى مقدمة هذا الفريق وليم همفرى الذى يصف لنا فى رواية « منزل على الرابية » ما فى مدن الريف على الاجمال من مشاعر وعواطف تتسم بالعنف وهى طريقة تذكرنا بطريقة فولكنر ونهجه فى القصة ٠ فقد عالج موضوعه بكثير من الطرافة والاصالة ودقة الحس ٠

وقد يأتى هذا العرض لاروج كتب السنة ناقصا ان لم ننوه هنا بذكر روايتين اثارتا فى الحقل الدولى ضجة وتناولتهما اقلام النقاد عرضا وتبسيطا٠ والغريب انهما مؤلفان روسيان احدهما : بوريس بسترناك فى قصته « الدكتور زيفاغو » والآخر فلودير نابوكوف فى روايته « لوليتا » الذى يسكن اميركا عام 1940 ويعمل الآن استاذا للادب فى جامعة كورنيل ٠

◆ معرض الاستشراق الايطالى بتونس

رحب الاساتذة والبحاثون التونسيون بمعرض المؤلفات الايطالية فى الاسلاميات الذى عنى بتنظيمه « مركز العلاقات الايطالية العربية بروما » ٠

وهذا المركز يسهر الآن على دراسة تطور البلاد العربية المعاصرة ، وارسال الاختصاصيين فى علم الاجتماع الى البلاد العربية والاسلامية ، للبحث والتنقيب وهيأة تونس لجمعية « دانتى اليغيرى » على شاكلة الرابطة الفرنسية تسهر على بث الثقافة الايطالية والتعريف بها فى بلدان الدنيا ، القديمة والجديدة ٠

فتح هذا المعرض فى نوفمبر المنصرم ودشنه سفير ايطاليا السنيور مازو ، بمحضر عدة شخصيات بارزة من دنيا السياسة والديبلوماسية والعلم والادب وهدف المعرض حسب قول المستشرق الايطالى الكبير الاستاذ فرنسيسكو غبريالى الذى صدر بـه تمهيد كتاب اعـده المعرض لزواره ، حتى يتمكنوا من تتبع المؤلفات والتحف المعروضة امامهم فى قاعات ثلاثة ٠ وقد اراد هذا المستشرق ان يقدم الى المثقفين من جمهور بلاد الضفة الاخرى من البحر الابيض المتوسط ، صورة اجمالية وان كانت ناقصة بعض النقص عن الاهتمام بالدراسات الشرقية والبحوث الايطالية حول الحضارة العربية ـ الاسلامية من النصف الثانى من القرن السادس عشر حتى ايامنا هذه ، وبيانا مختصرا عن المخطوطات العربية المحفوظة فى دور الكتب الايطالية (ما خلا دارى الفاتيكان بروما) والامبروزية بميلانو ، نظرا لانهما لاتجيزان خروج مخطوطاتهم ٠

وفى القاعة الاولى ، الخاصة بالكتب الادبية او كتب الاسلام الحديثة ، تصادفك درسات الاستاذ قبريالى الاب ، الذى قدم فهرسا (بيبلويوغرافيا) كاملا شاملا لكل ما ظهر فى ايطاليا باللغة الايطالية فى علم الاستشراق ما بين سنة 1912 الى 1934 ، ومنها كتب كارلو الفونسو نالينو ، ومؤلفاته غير المطبوعة فى ستة مجلدات • وتصادفك كتب كتانى الشهيرة بانالى الاسلام او تاريخ الاسلام وهو فى 8 مجلدات ضخام • ولاننس ميشال امارى وكتابه « تاريخ المسلمين فى جزيرة صقلية »

واما غبريال الابن ، فرنسيسكو ، فانك تجد اكثر مؤلفاته عن « التاريخ والحضارة الاسلامية » وكتابه « العرب » وكتابه « من عالم الاسلام »

ويجد الزائر فى هذه القاعة ايضا مؤلفات سانيلانا ، الشهير فى دراساته فى الفقه والقانون الاسلامى ، والذى كان من بين المدونين لمجلة العقود والالتزامات التونسية •• وكتبت لورا فلياري ، المعروفة بدراستها عن نهج البلاغة والتى زارت تونس فى الايام الاخيرة• والقت بها محاضرة قيمة عن هذا الكتاب تشرفت مجلة الفكر بنشرها فى الابان •

اما القاعة الثانية ، فانك تجد فيها الكتب القديمة التى كتبت او الفت بايطاليا ، او ترجمت ، عن اللغة العربية ، وبعضها باللاتينية ، والبعض الآخر باللغة الايطالية •

كما تشاهد بعض الكتب النادرة ، التى نقلت من اللاتينية الى العربية ••

اما القاعة الثالثة والاخيرة فانها تجمع اهم ما فى المعرض ، واثمن ماجاء به العارضون من ايطاليا •

نجد فيها اهم ما اخرجته المطبعة الميدتشية : توراة طبعة نادرة المثيل ، فى ثلاثة اجزاء ، مكتوبة بالعربية وباللاتينية فى آن واحد اخرجت سنة 1624 وتجد جنبها « كافية ابن الحاجب » المطبوعة سنة 1592 وقد احتوى المعرض على اربعة مخطوطات ، تقوم قيمتها بـ 20 مليونا ، منها مخطوطات من الكتاب الكريم ، و « الجامع الصحيح » للبخارى ، وكتاب « زهر الافكار للتيفاشى »

لعلنا نشعر اليوم ، وقد بدانا نداب نحو حضارة جديدة قوامها الفكر الحر والعلم الجامعى بالحاجة الى مثل هاته المعارض التى تقدم للزائر المتعطش معلومات عن تيارات الاستشراق ونزعاته الحديثة والمجهود الجبار الذى يبذله الاستشراق الايطالى بمجلاته الكبرى الثلاث : مجلة الدراسات الشرقية ، ومجلة الشرق الحديث ، ومجلة المشرق ، وبمعاهده الاستشراقية الكبار خاصة معهدى نابولى ومعهد باليرمو جدير بالاعتبار والاكبار •